كوب واحد لشخصين

مجموعة قصصية

مروة عقل

obeikandl.com

obeikandl.com

الأعباء المقدسة

المشهد الأول لي في المدينة كان زحام الأشخاص الغرباء المصاحب بالرهبة والحنين السريع لأسرتي. كنت مستعدًا لهذا الشعور فقاومته، أما المشهد الذي تلاه لم يخبرني أحد عنه من قبل.

في المدينة الكبيرة مر شخص أمامي يحمل حجر ماس بديع على كتفيه يتفاخر به أمام الناس.أكبر حجر ممكن أن تراه عيناك، قد لا يحتمل شخصين أن يحملاه غير أنه ماس.كان كل شخص يحمل ما يفتخر به أمام الآخرين؛ ترى تيجان ضخمة من الذهب والفضة، كتب تشع من أحرفها إضاءة فسفورية كأنها النجوم صفحاتها كثيرة تصل لناطحات السحاب، ومنهم من يحمل قصاصات من كتب الفيزياء وعلوم الطبيعة الأخرى مزركشة بشكل جذاب ويعلو وجه صاحبها هالة من الاعتزاز بالنفس والتميز المستحق،.....وغيرهم

كنت جديدا في المدينة، في قريتي الصغيرة ليس على كل ظهر حمل فخره.تعجبت، لكن هكذا المدن عجيبة بالنسبة لأهل القرى.كان حالهم مدعاة للمشاهدة ومتابعة التفاصيل.لم ألحظ في البدء كوني أنا المختلف الوحيد بينهم، حالي يدل على ريفيتي. لم أكن أخجل، فقط اتطلع باهتمام، حتى لاحظت نظراتهم المتعالية وغطرستهم في التعامل مع الشاب الريفي الذي لم يتعلم بعد التحضر.

الطريق لمحل العمل طويل يقرب من ساعتين تتفرق بين عدة مواصلات جماعية. ووقت الذروة في المدينة بين الساعة السابعة صباحا والتاسعة ليلا، يشمل جميع مواعيد ذهابي وخروجي إلى ومن العمل.كنت بين الناس الوحيد صاحب الظهر المستقيم الذي يدل على عدم حمله لأي فخر من قبل.وتركز عدسات أعين الناس عليّ قد يذيبني خجلا، وتتحاشاهم عينيّ المثبتتين على قدميّ.

صحوت ذلك اليوم متأخرًا ساعة عن العادة بعدما بدلت السخان الكهربائي بسخان غازطبيعي في شقتي الجديدة الأقرب للمواصلات، فلم أعد أحتاج لتسخين الماء لمدة ساعة باستخدام السخان الكهربائي.صحوت السادسة، وخرجت للعمل عند السابعة.خرجت من باب العمارة، بينما الشارع قد ازدحم بالخارجين إلى العمل والطلبة.الكل يحمل ما يثقله افتخارًا.بعد ما خطوت بضعة خطوات في الشارع، تراجعت مسرعًا إلى الشقة في الدور الرابع، وحملت المنضدة على كتفيّ وذهبت إلى العمل.

obeikandl.com

الساكن في الأعالي

«أيها الساكن في الأعالي لقد أسئت إلينا من عليائك نحن الذين نعيش في الدُنا نحمدك حتى لا تتضاعف إساءاتك».

كان يتضرع بها.

أنا: لا تبارك أفعاله فيستطرد فيها

هو: نخاف أن يستشيط غضبا فيهلكنا

أنا: أحمده أولا تحمده، فلن يعطيك قمحًا

لا أعرف لماذا يصر هذا المتحكم في الأمر على جدب الأرض

هو: أيها الساكن نحمدك حتى ....

أنا: لماذا تصر على مناجاته؟

هو: لعلك لا تدرك عواقب غضبه. أنظر لكثرة وسلاح حملة عرشه

أنا: أنتم حملة عرشه

هو: ماذا؟

اتسعت عيناه كأنه أدرك أو رأى شيئا ما كان ليفكر فيه من قبل. لم يشعرني ذلك بالفخر لأنه لن يدرك سوى أنه في الوحل

هو: أيها الـ ....ماذا أتى بك هنا؟

انقبض قلبه عندما رآني قادما.كأنني من ولده في الهم، لكن الحقيقة أنني من

obeikandi.com

يذكره بذلك، والإنسان عدو الحقيقة إذا ألف الوهم.أردت أن أخبره بأنني مهتم لحاله، عندها فاجأني سؤال في عقلي: ما لي ولهذا الذي سكن الوحل أمد حتى سكنه الوحل؟!عندها أدركت أني أهتم لحال قوم أنا منهم

هو: أنت لا تبالي.تأتي وتذهب.ترهقنا بقولك فتأرقنا ليالٍ.نحن نطلب ماء.إن كنت ذا ماء فتكرم به علينا، وإلا فلتركع معنا ها هنا

أنا: ومن منعه عنكم؟أليس هو فأجدب أرضكم؟لا تطلبوا من الحية العلاج

هو: أصمت! إنه قادم.

خفت صوته، وذهبت نبرة حديث المطمئنين، واضطربت أنفاسه. لم يعد ينظر إليّ. اتجه بنظره نحو السماء. واهتزت أطرافه بشدة.. إنه الرعب

هو: انظر إلى تلك الغيوم، أتشعر الدبيب على الأرض.إنهم جيوشه.هم ذا أجنحة ومدافع. انظر!

تصاعد الغبار وعلت أصوات الأبواق وأصبح الدبيب انفجارات بدون نيران تكاد تصم أذاننا من علوها.

الغبار والأبواق نذير شؤم وصوله.

انا: أخبره بما أساء إليكم وإلينا!ها!لماذا لا تجاوبني؟!إذن سأخبره أنا

هو: أصمت!قد يسمعك، سيهلكك ولا يبالي

أما أنا فصمتت.ووجهت إليه نظرة دونية.رفعت رأسي لأسأله..لأستجوبه..لأدينه.

فمسك برجلي هذا الذي في الوحل.وقال راجيًا:

انظر إلى كل هذه الرتب العسكرية.

تدوينة

دخلت أخته الصغيرة مهرولة يملأها الفزع تملأ البيت صريخا «الوحش بياكل الناس في الشارع..الوحش جاي ورايا».انقبض قلب أمهما التي احتضنت ابنتها المرتمية بين زراعيها.أما هو فابتسم في رزانة الكبير وقام بعد تطلعاتهما بعيونهما له بالحماية والعجز.»هذه الشقية الصغيرة» يبتسم بملء فيه وقلبه.يحبها كثيرا وتتعلق هي به كأبيها.بعد أن أرسل لهما تطميناته المعهودة بابتسامة هادئة وخرج بمسؤوليته وواجبه.»أين هذا الكلب؟!» يسأل نفسه عن الوحش الذي أخاف الصغيرة بينما يحدث نفسه سمع جلبة بالخارج كأنما الجميع يلاحقون ذاك الكلب، أو يلاحقهم هو.

قرر أن يغلق باب البيت حتى لا يدخل ذاك الكلب البيت خلسة فيزعر أهله ويصعب خروجه.أصبح الشارع بالتأكيد خاويا، الصمت دليلا قاطعا. التف في خفة ليعطي الشارع ظهره ويتمكن من القفل بيديه.شرع يغلق الباب، وإذا به يسمع زمجرة مخيفة، لا تصدر من كلابنا المعتادة. التفت إليه..إلى الكلب..إلى الوحش.الوحش يفتح فمه الكبير، كانت الأنياب كمدافع المجنزرات من الضخامة.أسنانه صفوف سوداء متراصة بانتظام. تعتليها قبعات مدببة.رائحة العفونة والدم تفوح منهم وتملأ المدينة. طالت النظرة بينهما حدٍ تجاوز القياس.المواجهة مع هذا الكلب مميتة لا محالة. تساءل أحانت لحظة الموت؟لم يكن يريد أبدا أن يموت مفترَسا ولم يأتي بباله ذلك على الإطلاق.تحسس القفل والباب ليحسب فرصته في النجاة، لكن الوحش على بعد خطوة منه، أقوى وأسرع منه وسيسبقه إلى الداخل."أمي والصغيرة!!".عيناه في عيني الوحش..تحسس القفل ثانية..وأحكم إغلاقه.

كنت قد أقسمت بأن لا أذكر الدمعة المحبوسة بكبرياء في عينيه.ترى لماذا كان يكابر بينما يواجه كلب؟ما كان ليفهم الكلب معنى الكبرياء!

obeikandi.com

كنت الآخر الوحيد الذي في الشارع.متصلبا أمام الشرفة المتهالكة لم أقدر تغيير موقع عيني.لم أفهم دمعته إن كانت خوفا من الموت أم حزنا على فراق أمه وأخته وعلى حالهما من بعده، أم كل ذلك وغيره فأنا كنت أمام الشرفة وليس أمام الوحش. اليوم لم يتبق منه سوى علم مصر خلَفَه وراءه مصبوغا بدمائه وممذق بمخالب الوحش، أحتفظ به على أمل أن أهديه لجثة الوحش بعد أن أصرعه ليس وحدي ولكن قد خرج أهل المدينة كلها لملاقاته.

obeikandl.com

تطور

سافر إلى مدينة جديدة غريبة.ما كان ينتظر ما وقعت عينه عليه..كثير من النساء الجميلات شبة عاريات في الطرقات طائعات لا يتمردن على أيا من كان معهن.جمالهن وطاعتهن لا مجال لوصفهما لمن لم ير. يمرينه بنظرات تسحق عظامه المتيبسة، الجريئة منها والمنكسرة أشد أثرا على نفسه التواقة للاستسلام.

يدخل على مضيفه قصره، حول المضيف نساء أشبه بالجاريات، في نفس الجمال المتوهج للنساء التي قابلهن في الشوارع.

يبدأ حديثه مع مضيفه عن أحوال المدينة التي جاء منها وحال الجوع والفقر والمرض.لا أحد يعد يتزوج بسبب عدم القدرة على التكلفة.المجتمع تفسخ تحت أيادي الإقطاعيين. آلاف الأرواح غادرت المدينة، بينما لازالت أشباحهم تطارد كل ذكرى تمحوها بين فتات الطعام.

المضيف يتعجب من الوضع ويستهزأ به.يشعر الضيف بالإهانة، لكن ليست الإهانة ما حركته. حركه غضب عارم لو شعر به غيره لأنفجر أشلاء، هو كتمه كما اعتاد فقط نفث صائحا مضيفه بأنه لا يعلم ما يشعر به مواطنيه ويستنكر سطحية مشاعره "أنَّ لك تشعر بهم وحولك كل هذه النساء!!".ضحك المضيف ثم تحدث بجدية "هؤلاء لسن نساء".استعجب الضيف فأخبره...."إنهن حيوانات." - ماذا؟!!!

عندما اشتد الفقر، لجأن بعض النساء إلى البغاء. وعندما غال أكثر لجأن الكثير إليه وكذلك الرجال. اعتز كل من ملك مالا واختاروا في ممارسة الجنس الأجمل على الإطلاق بين من يفضلوهن أو يفضلوهم. وبخلوا جدا عليهم في الدفع ومنعوا تماما عمن سواهم. فمات من لم يُفضَل لدى أصحاب الأموال، وضعف من تبقى من إجهاد الجوع وكثرة الخدمة طيلة الأيام والليالي. وبين من مارسوا البغاء أنجبوا أطفالا أجمل، أعانوهم على الحياة بأن قدموهم لم يرغب.

وهكذا توالدت أجيال لا ترغب في استخدام العقل وأسرفت على جمالها كامل حصيلة تطورها.

المضيف: أنظر إليهن!لا تخجل فهن لسن نسائي.نحن نربيهن ونطعمهن.هن يأكلن القليل.ويربي الفلاحون ذكرا واحدا معهن في الحظيرة ليتوالدوا، لكن من خلف ظهورنا بعض النساء تستخدمن الذكور لإمتاعهن في الخفاء، ولسن النساء وحدهن في ذلك!

تسربت الأفكار في عقل الضيف..“هذه الطيور المستكينة. لسن لهن مطالب ولا عقول تتمرد»...

انظر! جلدهن أملس رطب على الرغم من ضعفهن، شعر ناعم، رقيقات كالحرير الشفاف لذلك نلبسهم كل شفاف. لن تجد مثلهن على كل الأرض! هذا نتاج أجيال تلاحقت تثمر نفس الفكرة.

تسربت الأفكار إلى كل حواسه..“..................................“.لا، لم تكن أفكار بل زلزال ضرب أرضه بدأ باهتزازات صغيرة بأصابعه وأنفه وأذنه، وينمو.

المضيف: يجدن بامتياز جميع أنواع الحب بالوراثة.يعرفن كيف يسمعنك الآهات التي تدفعك نحو الذروة.كيف ينظرن إلى عينيك ومتى يغبن بنظرهن.يغوينك طوال الوقت.يقمن بكل ما تطلبه منهن على الفور.والنساء لدينا لا يغرن منهن، لأنهن يعرفن أن هؤلاء لسن إلا حيوانات متعة.تستطيع أن تفعل أي شيء تريده.كل ما تتخيله وما لم تجرأ على فعله.حتى أشد أحلامك جموحا.وما كان يمنعك خوفا من إيذاء رفيقتك.يمكنك أن تعذب الواحدة منهن كما تشاء.أو حتى تقتلها وأنت في زروة إنفعالات متعتك.القانون هنا لا يعاقبك على معاملتك لذلك الجنس.ولا تخشى غدرهن بك!لا تخف!إنهن مسالمات طائعات.وهزيلات الأجساد.ضعفهن بين يديك يثيرك حد الجنون.تخيل الآن وأختر ما شئت.أنت اليوم ضيفي.

انفجر البركان المحبوس مئات السنين متخفيا في جبل كذب ذا فوهة إنكار.

«إنه أكثر مما تمنيت.قلبي يتفجر منه الدم تخيلا لما سأقضي الأيام القادمة عليه من حال“.التفت إلى مضيفه وعينيه وصلت لأقصى اتساعهما. سأل: أين أنا؟! فابتسم المضيف له مجاوبا في ارتياح عميق إنها الجنة أيها الصديق.

obeikandl.com

سوبرمان

الخطة المُحكَمة نفذها كل الأبطال، وكان لابد له من السير في دربهم، وقد حكم قدره بها، فتبتدئ وتنتهي قصته كما قصص الأبطال. سيتدارى خلف نظارته الكبيرة - التي تناسب العجائز أكثر من الشباب - وثيابه الواسعة، وتنكره بالضعف وعدم الاهتمام، فلا يلحظه أحد، ولا حتى هي. لكن قدره قد أُحكم في السطر الأول، وكتب بأن تنتهي قصته كما إنتهت قصص الأبطال الآخرون؛ ينقذ العالم في تنكره، وينقذها فتكشف شخصيته المذهلة، المركبة من العمق والرومانسية والقوة الجسدية الجبارة، شخصيته الجاذبة.وكما لا يمل الرواة من نشر تلك القصة، لا نمل نحن سماعها.

اليوم يذهب إلى كليته - هندسة حلوان. اختار نظارة كبيرة، والحق أنه لم يختار، هي ما وفرتها له عمته، لا يعلم لمن كانت قبله ولا يهتم مادامت في حالة جيدة فهي مقبولة.كذلك ثيابه الواسعة، هكذا يفضلها وهكذا توفرت له.في زي الإنسان البسيط الفقير، اكتمل تنكره.

انقضى يومه الأول بكليته ولم يلحظه أحد. كان يمشي بكل حرية بين زملائه دون أن تتبعه النظرات. توالت الأيام ومر العام الأول في هدوء. تأكد بنجاح خطته وبأن القدر يجد طريقه لفرض نفسه على الحياة.

بينما يمر العامان الثاني والثالث تكون يقين لديه بأنها سوف تظهر في أي وقت، وكان هذا يربكه ويتمنى تأخيره، فتأخر. ذهب في عامه الرابع بيقين جديد، فهي ستظهر في كل لحظة تمر، الآن. كلما مرت أنثى تسائل: هل هي إمرأتي؟ لكنه لم يجد امرأة بين الكثيرات من الإناث.كان يبحث الوجوه عن تلك المرأة. ولإستعجاله أخطأ كثيرا في الحكم، وكان يتدارك أخطائه سريعا فينزوي.

ما يؤمن به هو الحب من النظرة الأولى وهو ما لن يتحقق.مرت من أمامه فلم يلحظها كما لم تلحظه.الأيام الباقية له في كليته قلائل ولم تأته الفرصة لإنقاذ العالم، كذلك لم يجدها بعد.هو لا يشكل الشخصية الغامضة حتى مع كثرة محاولاته ليكون، وكان أكثرها سذاجة.من كامل إيمانه بقصته وأنه راويها تملكه الشك، لن أجدها هكذا حدث نفسه.الشتاء لم يعد سببا كافيا للسعادة.والأيام تمر به في طريق خطأ راسمة قدرا له غير قدره.تملكه الحزن، ولكثرة المشاعر التي تملكته، فكتب ترنيمته عله يجد امرأته..

لم يهتم بغمزات زميلاتهما عندما سألهن عنها وأسباب غيابها "ثلاثة أيام متتالية" هكذا حدد.وقبل أن ينتظر الإجابة تركهن بذهنه ليسأل نفسه: كيف أدركت أنهم ثلاثة أيام؟منذ متى وأنا أتابعها؟

لا جديد في حبه لها؛ صمت يشبهه إلى حد الصمت.هنالك تعلم كيف يراسل ويعلن عن أفكاره بالقصة القصيرة.كتب لها عن الحب المستحيل بين الفأر وقطعة الجبن.لعلني نسيت أن أروي أن حبهما كان مستحيل، ولن يحيله إلى ممكن إلا ثورة. لم تفهمه، أو فهمته لكنها انتظرت شجاعته.أيها البطل فلتظهر الآن!

كتب في ترنيمته سطرا جديدا.ثار، لكن لم تكن ثورته كافية.

فأكمل ترنيمته..

ترنيمة لماذا لا أجد امرأة

.لماذا لا أجد امرأة؟

أدعي الغبطة في انفرادي والوحشة تقتلني ليلا في صحراء غرفتي القاحلة.فأنا أخشى الحقيقة المعلنة، في أشجع كلماتي صراحة أحتال بالجملة الفنية الركيكة.فأنا مريض، هزيل، فقير الحيلة واللغة.أمتلك بعض الشجاعة بعض الوقت.يستصغرني طلبها رجل.كيف لي أيتها المرأة أن أكون رجل؟إني أكافح من الصباح حتى المساء وفي الأحلام لأكون إنسانا أولا.لا تنتظريني رجلا حتى أراني إنسانا، ليس إقرارا بالكلمات إنما في كل وقائع اليوم.لماذا تساهمين في صناعة ألمي كما لم يساهم أحد من قبل؟

أنت تعلمين ما يأرقني كل ليلة، ليست مسئوليات عملي، ولا مسئوليات المنزل من تصليح الغسالة وبعض اللمبات ومروحة السقف.ما يأرقني هي الوحدة.في أكثر الأوقات ألفة أتحدث لامرأة في مخيلتي.

أتسمعين معي صوت استوحاش الوحدة في الجماعات؟ينصب الحزن في أذني بضحكات الفتايات المفتعلة في المترو.يترجون حيوات غير اللآتي يرونها فيمن سبقنهن في الأعمار.أرى مزاح الفتيان الهمجي رثاءا لأعمارهم القادمة بالوحدة.أتعلمين ما

obeikandl.com

يرعبني ويصدني طيلة الوقت؟أن أظل في الوحدة حتى بعد ملاقاتي لأنثى!فإني أتطلع أوجه كل الإناث كل الوقت ولا أجد امرأة!

يا أيتها السنن الإنسانية اللآتي رسخنها الأجداد في جمع رجل وامرأة، أعظمك وأجلك. اذكريني أنا ولا تجعليني آخر جيل على الأرض.

اذكريني. لا تعطني خادمة خانعة ولا تعطني سيدة متسلطة تستعبدني. أعطني امرأة وأعطيها إياي.

لماذا الوحدة تتسيد الآن وتتسلط على الإنسان؟ وما يمنعه وما يمنعها إلا من فساد أنفسهم.

أيتها السنن اذكريني ولا تجعليني آخر جيل على الأرض.

*****

نعم أراك. أراك كما من زمن بعيد. تلك الابتسامة كانت تدعوني دائما إلي مواصلة النجاح دون ملل أو تعب.علمتني النظر مساءًا للسماء كي أستمد منها الأمل. وضعت يدك بحركة بطيئة علي قلبك وقلت ها هو موطِنك، انتِ تسكنين هنا. قلت لي ذات يوم أن الجنة خُلِقت للفقراء. فعلي الإنسان أن يُعلن تقبله لفقره، وأن يقهر ذلك الإحساس بالمهانة الذي يسببه له ذلك الفقر. عليه أيضًا أن يفتخر بأسرته المتواضعة التي جعلت منه طالب علم يلتحق بالجامعة كأبناء الأغنياء، بل وتميزه عنهم بعزة النفس والكرامة. فأنت حاربت السقوط ورفضت أن تشكو وأن تتاجر بجراحك. أبيت الاستسلام والخشوع أمام أحذية من هم يظنون أنهم يتحكمون في مصائر البشر.

ربما يومًا ما في مكان أفضل من هذا، سوف أنقل رسالتك هذه لشخص آخر، فلا تبتئس! فسوف يشهد العالم ثوره عالميه عن قريب.

مددت يدي بحرص شديد وقلبت تلك الصورة المعلقة في مدخل متحف الجامعة، فأصبح العامل الفقير بيده الخشنة ذو الوجه الأسمر والعينان الناعستان ترجوان النوم، أصبح هو في الأعلى، ينظر بفخر وسعادة إلى أسفل البئر. بنظرة استغراب ووجوه مندهشة للمفاجأة غير المنتظرة، مد جميع الواقفين في الأسفل يدهم، لتتشابك جميعا في خيط سميك، وبأنفاس متقطعة يحاولون جاهدين قلب الصورة مرة أخرى ليصبحوا سادات قومهم، وليصبح هذا العامل الذليل عبد لهم مرة أخرى. لكن الزوار في المتحف لم ينتبهوا للصورة المقلوبة، ظنًا منهم أنها قصدت أن تُرسم

obeikandi.com

هكذا، فهي الثورة المنتظرة.
وبخطوات ثابتة جاء عامل المتحف، وتأمل الصورة وأخذ يثبتها بالغراء، كي لا تعود ذات يوم إلي ما كانت عليه.
جاء صوت تصفيق حار من بعيد، من آخر الصفوف، ليُعلن تأييده لخدعة العامل، فلما لا؟!..فكان هذا صوت تصفيق عامل الحديقة المجاورة للمتحف.

*****

تطاردنى صورة تلك الطفلة المنكوشة الشعر، ذات العينين الواسعتين الداميتين، والملابس الباهتة البالية، ثقوبها أكثر من عدد لاعبي فريق كرة القدم، ترتدى في إحدى رجليها شبشب أخضر غيرت الدماء لونه، وجراح العالم تجمعت كامله في جسدها الضئيل، ولون السواد يكسو وجهها البريء. ضاعت تلك البراءة عندما جاءت الطفلة حاملة معها عروستها البائسة. فمنذ أن سقطت القذيفة الأخيرة في شوارع المدينة، لم تسلم حتى العروسة من صور الحرب والدماروالخراب التي خلّفتها ورائها.
صنعت مواسير المجاري نهر يمتد من أول الشارع وصولًا للنقطة التي وقفت فيها الفتاة، تنزل على رجلها بهدوء شديد ثم تنزلق فجأة فتتلطخ ثيابها بالنهر القذر، استسلمت العروسة لتنام في سبات تام تاركه جسدها يطفو فوق النهر، واستعادت الطفلة قواها لتحضر كوب بلاستيكي، إذا وضعت الماء بداخله لم يبقى منه شيء، فالثقوب التي حلّت به، كتلك التي جعلت العروسة تفقد احدى زراعيها، وتعيش كذلك دون رأس لترى بيها ذلك النهر الذي غاصت به.
بذراع آدمية مبتورة يكسوها الدماء مدت الطفلة يدها في النهر كي تملئ كوبها وتسقي تلك التي فقدت رأسها.ولكنها لم تدر أنها تروى عطشها بالماء القذرولم تدر أيضا بأن صديقتها قد فقدت رأسها!..فكيف هذا؟!..فهي أيضا فقدت بصرها.
ثمة يد من الأيادي المبتورة، مالت إليها بهدوء، جلست بجانبها علي ضفاف النهر، تبسمت الطفلة، انتظرت لثوانٍ أن تمسح بحنان على رأسها.ضاعت الآمال..
جثة هامدة ترقد في سلام.قديس عجوز أبيض اللحية، تتبعه هاله من النور، يرمق متألمًا بعينيه الحزينتين ما أختلقه خيال الطفلة، ويستعيد معه آخر لحظاته.
أرجل ممن ارتكبوا كل هذه المجازر هاربة، لجنود شاردين، أحدهم ترك خلفه من كثرة الفر، قبعته..

تنفس القس الصعداء، ونظر لتطابق ما خلّفه الجندي وراءه مع قبعة جنود المدينة!!.

*****

عادت إليّ الذاكرة بعد أن كنت أعتدت حياتي الراهنة.

تلك الصفارة اللعينة تعلو صوتها قبل حتى أن تصل أشعة الشمس الكرة الأرضية. لا مفر الآن من النهوض، أزحت بيدي طرف القماشة العفنة التي نهرب بها من قسوة وبشاعة البرد ليلًا، ومن لسعة وسخونة الشمس نهارًا.تحسست في الظلام الوسادة كي أبعدها عن رأسي، تسللت يدي في رعشة وهدوء إلى كل مكان فلم أجدها!.

أحقًا تتلاعب بي الذاكرة مُحدثة مشاهد جديدة غير التي يختلقها الآخرون!. ها هي تعود مرة أخرى.. لتذكرني بأن لا أحد هنا من ساكني الطابق الأرضي يملك الوسائد.

هي صُنعت فقط لمن يسكنوا فوق رؤوسنا بالطابق العلوى، وتسكن فوق رؤوسهم القبعات ذات اللونين، الأسود في الشتاء والأبيض في الصيف، وفوق أكتافهم ترقد رموز نلعنها نحن، ويهابها من هم في الخارج.. لا أدري أيسخرون منا أم يسخروا بذلك من أنفسهم!.

أما نحن فنسخر من الأربع حوائط التي تحيط بنا، والأقمشة الزرقاء التي بالكاد تمنع الهواء من الدخول لأجسادنا، وبعض من قصاصات الورق الملتصقة بالجدار، تشوهه من وجهة نظرهم، لكن تصبّرنا نحن علي حياه أبسط ما يقال عنها، أنها لم تُخلق لبشر ولا لحيوان فلا حتى تصلح للوحوش أو الذئاب.لم يخلقها الله لأحد من ساكني السماء ولا ساكني الأرض، فربما خُلقت لساكنى جهنم!.

نهضت من موضعي، تلك الخطوط الأربع التي رُسمت بالطباشير علي الأرض لكل واحد منا، كي يرسموا لنا حياه لا مجال فيها للاعتراض أو التعديل.

يجب أن أتهيأ خلال دقائق قليله، وأصبح في أتم حال، كي أصطف وباقي الآخرين أمام الساكنين فوق رؤوسنا. غير مسموح بالطعام والشراب، ولا حتى الكلام في هذه الساعات المبكرة. فقط يأخذ كل فرد منا حصته في الضرب المبرح، والإهانة القاسية، لينتهى به الحال بعمل شاق في إحدى الصحارى والجبال.

عند عودتنا لمسكنا، ننظر للشمس آملين شروق يوم جديد بلا ذاكرة.

يُنفق الإنسان الأموال الباهظة في سبيل استرجاع ذاكرته، أما نحن!..فنُنفق السنوات الطويلة من أجل فقد ولو جزء من ذاكرتنا!.نهرب من مشاهد الرعب

والخوف من الظلام، وما أدراك ما يحدث لنا عندما يسود الظلام تلك الحوائط الأربع!.

لا يرى أحد منا الأخر!. لكن نستدل علي مواضعنا من صوت الأسياخ التي تمزق ظهورنا ليلًا، ونطمأن على بعضنا البعض من صوت أنين قلوب تملأ المكان!.وصوت ضحك وقهقهة ومزاح أيادي متعفرة بمسحوق الطباشير.

*****

obeikandl.com

أحببتك ولكن!

كنت أعيش حياة بسيطة عادية كباقي الآخرين. طفلة جميلة بريئة تلهو وتلعب، تضحك وتبكى، تفرح كثيرًا ليوم أجازة دراسية يكفيها الوقت كي تشاهد الكرتون طوال اليوم، تحزن كثيرًا لفقدها أغلى شيء عندها، دُميتها..

ثم تدور الأيام ويتعاقب الليل والنهار، لتُصبح فتاة راشدة ناضجة، تهتم بأناقتها ودروسها، وتخطو أولى خطواتها في رحلة العقل والثقافة..

تشرق شمس جديدة، وتغرب أشعتها، كي تغفو قليلًا قبل أن تستيقظ صباح يوم جديد، وما بين الشروق والغروب استيقظت ذات يوم وقد اكتمل نموي. بدأت حينئذٍ برفض بعض الأفكار التي أعتاد الناس على الإيمان بها دون التفكير فيها من قبل.

انزويتُ في حجرتي الصغيرة، ضممت ركبتي إلى صدري، لتُحيطها يدي في دفء وأمان. نظرت في رعب شديد وبعينين نصف مفتوحتين، إلى الزاوية المقابلة.رأيت أشباح تلك الأفكار ترقص وتتمايل، نعم كانت كذلك!.لا أستطيع التركيز علة ملامح وجوهها من كثرة الحركة والتناغم مع صوت الموسيقي الواهمة.

وذات يوم، لا أدري حقًا أي يوم من الإسبوع كان، ولا أي يوم في تاريخ حياتى!..مس العشق قلبي، وتملّك حبه من روحى وأنفاسي وتفكيرى، تعجبتُ!. فلم أكن أُحبه منذ صغرى بهذا القدر!.

أراد هو أن يكتمل النور في قلبي أولًا، كي أستدل به علي حبه القابع داخلي منذ خلقي.

أصبحتُ عندما أسمع أحد يُرتّل كلماته، أنصت إليه في فرح، وأذوب معه عشقًا في ذلك الذي يُحيطنا برحمته وغفرانه.

استغنيت في لحظةٍ ما، ودون توجّه من أحد، ولكن بنوره الذي أخذ بيدي إليه، استغنيت عن سماع كلمات الحب والغرام، وتشبعت روحي بسماع كلماته هو فقط.

obeikandl.com

أعتدتُ بذلك علي قراءة كتابه كلما شعرت بالوحدة، في الفرح أو الضيق..أي كان أنيسي في جميع حالاتي.

باتت كلماته تأخذنى برفق يُغلّفه الرحمة، لأصعد معها إلي السماء في رحلة روحانية تملأ أنفاسي بعطر الريحان والياسمين.

الآن وبعد هذه الرحلة، التي غيّرت حالي إلي أحسن حال، أصبحت أمقت تلك الأشباح القديمة، فمثل هذه لا يمكن أن يكون صنعها هو!، بل صنعها من يختبئون خلف ستار شفاف، كي يمارسون وينشرون أبشع ما تملكه أفكارهم..لكنهم لا يدرون بأنهم يكتسون بجدار شفاف، يكشف دائما ما وراءه بالليل والنهار.

بِتُ أتساءل!، متى ينفكون عن الدعاء بالخراب والدمار والقتل، لكل من لا ينتمي إلى طائفتهم؟!.

إلى طائفة تُبيح الدعاء بالشر علي الغير؟!.

لم يكن ليطلب منهم هو ذلك!..فإن سمائه لا تُرسل سوى الخير والسلام، أينما وجِدنا، ووقتما نكون.

من هم حتى يُكفّروا من لا يسعى إلي الانضمام إلي صفوفهم!.

لا يملّوا من الدعوة إلي قطع التواصل مع الآخرين، لا يجمعنا بهم طعام أو شراب، فرح أو حزن، كيف هذا؟!.

أما وإذا أشتدّ البلاء علي الجميع، التصقوا سريعًا في ثوب من يملكون الجاه والمال والسلطة، نسوا في لحظه واحده كل مبادئهم القاتله، التي دعوا ذات يوم إلي الإيمان والعمل بها، وفرّوا وراء نجاتهم وحدهم من الجوع والعطش.

كيف لهم أن يبنوا بيوتًا لهم دون خوف أو قلق، ويُحرّموا علي الآخرين وضع ولو طوبه واحده لبيتٍ، يُناجون فيه نفس الذي يُناجونه هم ايضًا؟!.

أما أنا، فأصبحتُ أُدير ظهري لكل هذه الأشباح، أصبحت لا أؤمن سوى بحبي له، وحبه لنا جميعًا دون تفرقه.أصبحت أؤمن بكل دعوة إلى الخير والأمان، وأكره ما دون ذلك..

نعم أحببتك ولكن!.

*****

جدي حبيبي

لأني أُحبك أشعر بك دائما بجانبي.أغفو قليلًا لعلي أراك بأحلامى، أُحادثك في الحلم لأُخبرك عنى وعن بيتك وأولادك وأحفادك، أراك دائما مبتسم وسعيد لما أنت مُطّلع عليه من مكانك في الأعلى أكثر منى، تبتسم لتخبرني بالمزيد من ما أجهله أنا عن ما يحدث في الأرض، تُشاهدنا من السماء لتظل دعواتك لنا مرفوعة بين يدي الله. تقلق قليلًا لما نحن عليه الآن، لكن قلبك تملأه الثقة والإيمان بالله بأنه سوف يحفظ ذريتك على مر الزمان..

*****

obeikandl.com

رحلة البحث عن الحب

ذهبتُ بعيدًا، وأمسكت بكتابي وبحثت فيه عن شيء أقرأه، شيء يُخرجنى من هذا الحزن الذي بات وكأنه لا يفارقنى، فكلما ابتعدتُ عنه، يشعر بغيابي، فيبحث عنى في كل مكان، وعندما نتقابل ينظر إليّ متأملًا وجهي الحزين، وعيناي الغارقتان في نهر من الدموع، ويتابع النظر إليهما حتى تسقط الدموع كسقوط المطر من السحاب في ليله شتوية شديدة البرد، وهنا ليس بإمكاني غير الاستسلام، فأوافق أن أجلس مع ذلك الصديق الغير مرغوب في مجالسته، فيعاود الغوص في قلبي وأفكاري، ثم يمتزج بدمى، ويملأ كل جسدى.ليس هناك فرصه في الفرار منه، إلاّ إليه.

بدأنا الحديث معًا، حيث دام طويلًا، فلم يكن هناك خيار أمامي غير أني أحكي له عن صمتي، عن مشاعري، عن نفسي وعن حياتى، انتبه لي بكل حواسه، ظهرت علي وجهه سحابة شتاء على وشك سقوط الأمطار الغزيرة منها دون سابق إنظار. ولكن عندما أنهينا الحديث، قال لي ما لم أتوقع سماعه، أنه مفارقنى ولن يصبح له وجود مرة أخرى في نفسي، فإنها الآن لا يشعر بالانتماء إليّ: "حيث أنه لم يعد يجد بداخلي وطنًا له».

فتابعت القراءة في كتابي، ولكن هذه المرة بحثت عن ذلك الشيء الذي يشعرنى بالحب، الشيء الذي يحيي الذكريات الجميلة بداخلي، ويملأ قلبي بالشغف للحياة. الحياة التي لا تستطيع أن تفهمني من قبل، لا تستطيع أن تفهم ذلك القلب الذي يبحث عن الأمل في كل مكان.

لكن قلبي لم يكن كقلوب الآخرين، فهو يبحث عن الحب والأمل في صمت، دون أن يشعر به أحد.قلب يكاد ينسكب منه الحب والحنان، كما ينسكب الماء من الكأس الممتلئ.

obeikandl.com

ولكن عندما قابلت ذلك الإحساس الذي أبحث عنه: أدركت أنه ليس من حقي، وابتعدت عنه سريعًا.

وهنا شعرت وكأنني كُتِبَ عليّ أن أذهب بمفردي في تلك الرحلة...."إنها رحلة البحث عن الحب».

*****

obeikandl.com

عندما تُحلّق الأجنحة المكسورة

أتوق كثيرًا إلى رؤيتك، أريد أن أرى فيها ذاتى، فهل تعلمني بيوم وصولك إليّ، فهل أستطيع لقائك؟. أترى!!، كم أن العصفورة التي بداخلي تطير وتحلق في السماء كي تراك، ولكن لا تحلق طويلًا، فجناحيها مكسورة، وذلك من حزنها الشديد عليّ لعدم رؤيتك، فهل تنتظرها بالنافذة، حيث أنها تنتظر إشارتك وتلويحك لها.سوف أبعث معها رسالة حب واشتياق لك، فعندما تصلك العصفورة قبّلها، وأبعث معها مايشعرنى بك.وذهبت الطفلة التي بداخلي إلي النافذه، تنتظر وتنتظر مجيئ العصفورة.ياترى ما الذي أخرك يا عصفورتى، كل هذا كلام تحملينه لي منه، أم أن ابتسامته هي التي أخرتك فعشقتيه؟!.أرجوكى لا تفعلي، لا تحببيه أنتِ أيضًا، عودي إليّ، فأنا لا أقبل أن يحبه شخص آخر غيرى.هذا هو الأمر، أم أن حبه لي لا تستطيعي أن تحمليه إليّ فأثقلك وعجزتى عن الطيران؟!.إذا اتركى له كل شيء، حبي واشتياقي، وأبقي على صورة له في عينيكِ واحتفظي بها، ثم أغمضى عينيكِ حتى لا تضيع صورته منكِ، وعندما تأتي إليّ أفتحيهما، ودعينى أتأمل فيها، وأرى كيف كان حاله وهو يقرأ رسالتى إليه.لا أعلم كيف أشكرك يا صغيرتى، فأنا أعلم كم عانيتِ في هذه الرحلة ، وكم أن جناحيك مكسورتان!، ولكنى أرجوكى أن لا تذهبي إليه مرة ثانيه، فتغرمى به من جديد ولا تستطيعين مفارقته، «مثلما فعلت أنا».عذرًا سيدى، فسوف أرسل لك هذه المرة حالي وروحى ليس مع العصفورة، إنما مع قطرات المطر، ومع رائحته الذكية، وهوائه النقي، فهو سوف ينقل لك حبي واشتياقي، فهذا أحب إليّ من العصفورة التي أغير منها عليك.

مازلت لا أعرف

اشتقتُ إليك، فهل لي بلقاءٍ آخر، فأنا لا أستطيع أن أهرب بعيدًا عن تلك العينان التي كلما رأيتها شعرتُ بالأمان. فمنذ أول مرة تقابلت فيها أعيُنُنا وأنا لا أرى سواك،

obeikandi.com

ولا أريد أن أرى سواك. فهل كانت هذه مجرد صدفه؟!صدفه جمعت بين قلوبنا في هذه الحياة، وفي هذا المكان.أم أنها مشيئة القدر؟!.أتعلم!كُلما أغلقتُ عيناي أحلم بك، وعندما أفتحهما، أشعر بك وكأننى أراك أمامى، فأتذكر كل حديثنا معًا، فأنا أتذكر جيدًا كل كلمه نطقتها أنت وكل كلمه لم تنطقها، عن الحياة التي تحلم بها، وعن تلك الأغنيه التي تحبها، وعن الألم الذي جعلك تحبها.أنت لم تذكرلي شيء عنه، ولكنى شعرت بك وبما داخلك.أريد فقط لقاء آخر، لقاء يجمعنا من جديد، حتى وإن كان قصيرًا ولا يتسع إلا لرؤيتك دون الحديث معك.ولكن بالرغم من هذا كله إلا أني إخترت مؤخرًا البعد عنك، والهروب من هذا الحلم وهذا الألم.فأخذتُ نفسي وقلبي وذهبت بعيدًا في هذه الحياة، بعيدًا عن لقائك، بعيدًا عن رؤيتك، ولا أدري ماذا بعد ذلك!.أيتها العصفورة الجميلة البيضاء اللون، أيتها السماء الصافية، وأنت أيها النسيم، لماذا تُشعرانى بوجوده دائمًا، لما أنتم تصرون علي وجوده معى!.حقًا لا أدري ماذا أفعل، أبعد عنه أم أقترب منه!، أتذكره أم أنساه!.وكيف لي أن أنساه؟!.أحترتُ كثيرًا وكثيرًا، فأنا أعرف أنه يسكن قلبي وفكري وعقلي، وأشعربه في كل مكان، حتى أني أرى جميع الناس يشبهونه.ماذا أفعل؟!.فإذا كانت هذه صدفة، فلماذا أبقت في قلبي أثرًا لا أستطيع أن أمحيه؟!، وإذا كانت هذه مشيئة القدر، فما الدال علي ذلك؟!.كل ما أستطيع أن أفعله الآن، هو أن أحتفظ بكل ذكرى له معي، أحتفظ بتلك الأحاديث التي دارت بين قلوبنا.أحتفظ به داخلي، وأنتظرحتى أعرِف.

*****

عندما ينتظر القدر لقائنا

كم من وقت مضى، وأنا لا أعرف شيء عنه!!، ولكنى اليوم رأيته في حلمى وسَعدْتُ كثيرًا برؤيته وبقربه منى، حتى أني لا أود أن أفتح عيني اليوم، فربما أرى وجوه أخرى غيروجهه تمحى صورته من عينى.ولكن كيف؟!وأنا لابد لي أن أذهب لعملي اليوم وأن أنجز ما كُلِّفتَ به من عمل.فذهبتُ بعد تفكير كثير للعمل، وعندما وصلت انتابني شعور بالسعادة والبهجة، وظلت الابتسامة مرسومة على شفتي طوال اليوم، وظلت عيناي تلمع وتتلألأ، فمن ينظر إليهما يرى صورة ذلك الوجه الذي منذ أن قابلته وأنا لا أستطيع أن أنساه، حتى أني لم أوقف التفكير فيه ولو للحظة من الزمن.لقد شغل تفكيري وقلبي وعقلي.كيف لي أن أوصفه، وكل أشعاروقصائد العشاق لا تكفي لوصفه!!.حتى إن كلماتي هذه لا تكفي ولا تنتهى في وصفه إلي آخر لحظه بعمرى.وإلي أن تأتي هذه اللحظة، سوف أكتب عنه وله كل ما أشعر به تجاهه، وكل ما أود أن يشعر هو به تجاهى، وياليت هذه الكلمات تحمل له حبي واشتياقي له فيأتى ليقرأها. فأنا أتشوق لهذه اللحظة كثيرًا، لحظة أن يمسك بورقي هذا ويقرأه، ويعلم أنه عنه، وله، ومنه، وإليه.فأنا ذلك القلب الذي يبحث عنه في كل مكان وزمان.وهكذا ينتظرنا القدروينتظر معه العالم أجمع لقائنا.

*****

رحلة صالحة لفرد واحد فقط

رُبما حان الوقت إلي العُزلة.هذا ما أحتاجه هذه الفترة من حياتي.سوف أذهب للسفر، ولكن ..لا حاجةً لي لوسائل المواصلات، فأنا لن أذهب لبلد غير البلد، ولا لمكان غير المكان، ولا لناس غير الناس.إنما أذهب لنفسي. فقد اشتقتُ لها كثيرًا.سوف أتبحّر في أعماقي، أُيقظ الذكريات، أستحضرها، أُفتش داخلي عن ذلك الشيء الدفين الذي لطالما أبحث عنه وأفتقده. لا أُريد أن أصطحِب أحد معي، فهذه روحي أنا، وهذا جسدي أنا، ومهما تمسك بي من يُحبني ويريد أن يكون بجانبي طوال الوقت، فلن يستطيع أن يذهب معى، ولن يقوىَ على استيعابي، ولن يتحمّل ما سوف يراه.لا حاجةً لي لصديق أو حبيب أو قريب.فالكل ليس بمقدوره الآن أن ينفع أو يضُر.ليس له مكان بجانبي في الرحلة .فهذه إذا رحلة صالحة لفرد واحد فقط..
هو..أنا..

*****

obeikandl.com

إلى اللقاء

لم تدع لي مجالًا كي أودعها، لم تعط أي منّا الفرصة كي ينظر في عينيِّ الآخر ليسبح فيها، ويتأمل لونها وانعكاس الشمس عليها.أخفت عينها بيدها خوفًا من أن أرى نهر الدموع الساكن بهما..حتى أنها لم تعط الفرصة ليدي كي تلمس يدها للمرة الأخيرة وتودعها.فهي لم تدع لي مجالًا حتى أن أُفكِّر في قرارها، وأن أتناقش معها.لم تَقُل سوى كلمه واحده « إلى اللقاء»..

*****

obeikandl.com

مشيئة القدر

لم تكن هذه المرة الأولى التي يفترقا فيها، بل أخذ منهم الفراق ساعات، وأيام، وشهور، وسنين قبل ذلك.لم يعرف أحد منهم السبب وراء تلك المسافات التي أخذت تبعد وتقرب كل منهم للآخر.ثم في لحظة واحدةه وبدون أي مقدمات تتلاشى تلك المسافة بينهم، ويصبحوا واقفين على نفس النقطة، حتى يعتقد الناس أنهم نفس الشخص ونفس الروح من شدة اقترابهم من بعض.لماذا يصنع القدر جبل عظيم من الثلج بينهم؟!ولماذا تأتي الشمس فجأة وتذيب ذلك الجبل الثلجي في أقل من ثانيه؟!.. تلك كانت الأسئله التي تدور في عقل الناس.أما إجابتها فلا يعلمها أحد حتى وإن كانوا هم أنفسهم!تلك مشيئة القدر..

*****

obeikandl.com

صرخة من جهنم

تعالت صرخاتها من العذاب، لم تكن قويه بما يكفي لتتحمل نار جهنم، جسدها كان ضعيف هزيل، وعيناها يحيطها السواد والتجاعيد من كل اتجاه، إذا نظرت إليك أشفقت عليها من كسرة قلبها وصغر حجمها، صوتها أشبه بصوت قطه صغيرة ضائعة بين الشجر تبحث عن أمها لطلب الطعام، تنادى بصوت حزين خائف، أين أنا؟وأين أمى؟وأين الطعام؟

لكنها عاشت سنوات شبابها تستمتع بظلم وقهر كل من في المدينة .كانت تقول دائما: لما عليّ أن أُحب من هم ليس بقيمة في الحياة!.

الرجل العجوز الشارد في شوارع المدينة بحثًا عن مأكل أو مسكن، لما عليّ أن أتعامل معه، إن منظره مقزز، ورائحته كريهة، وجسده يكسوه السواد والقاذورات، تسأل نفسها: لماذا مثل ذلك يعيش معي في نفس المدينة ؟يجب عليه الهرب أو الموت.

السيدة الثمينة التي يصعب عليها الحركة نظرًا لجسدها الضخم، جسد غير متناسق، لا يمت بأي صله لجسد امرأة، وجه يملئه التجاعيد، شعر أجعد خشن غير منظم، ترتدى من الملابس أبشعها، ألا تخجل من كونها فصيل آخر ليس له علاقه بامرأة! ألا تخجل من شكلها وهيئتها! وهذه أيضًا تستحق الموت!لما عليّ إذا أن أتحمل رؤيتها كل صباح أمام منزلي، فتُعكّر عليّ صفوي كل يوم!؟

هذا الطفل الذي لا ينفك من البكاء والصراخ كل ليله، لا أستطيع ممارسة هوايتي في تصفح مجلات الموضة والأزياء مساءًا، لا أستطيع الاستمتاع بسماع موسيقي كلاسيكية هادئة. هذا أيضا غير مصرح له بعد ذلك بالحياة!.

كانت هذه كلمات الشيطان إليها.كان يُذكرها بما كانت عليه قبل مجيئها جهنم.

تتعالى الأصوات حولها بالصراخ، وتتعالى معها أصوات الشياطين بالضحك والانتصار.

obeikandl.com

كانت ترجوه الشفعة لها عند إله لم تكن تعلم عنه شيئا منذ صغرها.

ليقول لها شيطانها: إن إستطعتى أنتِ أن تشفعي لي عنده!سوف أُحادثه أنا أيضًا بشأنك! لكن لا أستطيع وعدك بذلك لفترة طويلة.

لن أتركها هكذا تتألم وتتعذب في نار جهنم، لن أترك شيطانها يتلذذ بتعذيبها هكذا، عليّ فعل أي شيء من أجلها، سوف أذهب مدينتها أبحث عن شيء ولو بسيط يشفع لها عند إله يتسم بالرحمة: كانت هذه كلمات ملاكها الحارس..

الرجل العجوز: لا لن أسامحها ما حييت، لن أغفرلها ما كانت تفعله بي.إنها كانت تطلب لي الموت، لا يسعها أن تعيش في مدينه بها رجل هزيل فقير مثلي، كانت تتعالي علي..فلتحرقها نار جهنم إذًا.

المرأة الثمينة: أنت ملاك لا تعيش معنا في الأرض، لا تعلم شيء عن إحساس امرأة بكرهها لجسدها، لكرهها لوجهها ولكل تجعيده به، امرأة تكره أن يُحادثها أحد علي كونها ليست امرأة، ولا تصلح أن تكون مثل باقي الفتيات، فليعذبها الرب إذا بما كانت تفعله بي في شبابها!أوصل لها رسالتي هذه وقل لها: أين جمالها وشبابها الآن؟!إنه مشوّه بنيران شيطانها، أين هي من كونها امرأة..

الطفل الصغير: فليأخذها الرب ولا يُعيدها مرة ثانية، لن أجعل من نفسي سبب للشفاعة أو الرحمة لامرأة طاغية كارهه لكل المخلوقات على الأرض.فليحرقها الله إذًا.

لا لن أتركها هكذا، لن أترك الفرصة للشيطان مرة ثانية كي ينتصر علي، سوف أبحث لها عن أي شيء جميل، حتى وإن كلفني هذا العمر بأكمله، فليهوّن عليها الرب آلاف السنوات من العذاب في جهنم حتى أعود إليها بحسنة واحدة.

*****

صدفة

كانت هي تُحِب وتعشق مشاهدة الغروب، كان يمتلكها الأمل والسعادة والبهجة بمشاهدة ذلك المنظر الرقيق..

أما هو..فكان يعشق الشروق..ذلك الذي يملأه أمل وتفاؤل وحسن ظن بالمستقبل.

كلاهما يشعر بالسعادة والأمل ولكن هي مع غروب الشمس، وهو مع شروق الشمس.لذلك كانت هي تبتعد عن الناس نهارًا، وتخلو بنفسها، وتستغرق في القراءة والعمل والكتابة، وكانت تظهر دائما وقت الغروب فقط، وكأنها جاءت لتودع العالم كل يوم ..كي تظهر في اليوم التالي.

أما هو ..فكان يحب النهار والخروج، وأن يبحث عنها في كل الطرقات، مع علمه بأنه لن يراها.ولكن كان يتفقد الشوارع والطرقات لعله يحظى بلقاء يجمعهم في زحام الناس..فكانت الصدفة هي كل ما يتمناه في الحياة.أن تجمعهما الطرقات ولو مرة واحده صدفه ..لذلك كان ينتظر الشروق كي يبدأ في حياه جديده، ويوم جديد يملئه الإحساس بوجودها.

فتقبل الله دعاء كل منهم وجمعتهم أجمل صدفة ..ذات يوم وبدون اي ميعاد بينهم، بعث لها برساله علي الهاتف ليُخبرها بأجمل كلمه سمعتها منه،

أنا الآن أؤمن بالصدف حيث انه قال لها كثيرا انه لا ولن يؤمن بشيء اسمه صدفة..

فوجدت منه رساله، قرأتها وابتسمت كثيرا، ابتسامه تنبُع من قلبها ..وأخذت تبحث عنه بعيونها في كل مكان ..فلم تجده.لكنه فاجأها بصوته الجميل ينطق باسمها ..التفتت للوراء فوجدت أجمل وأرق وجه ينتظر رؤيتها..فكانت حقًا أجمل صدفة..

*****

obeikandl.com

فيروز

وها هي سنة جديدة تبدأ من عمرنا.عام جديد يتطلع إلي أن يستكمل حكاية حبنا..منذ ما يقرب من ثلاث سنوات ذهبت إلى التنزه في إحدى الحدائق النيلية، حيث الصباح الجميل، والورود الرقيقة، والسماء الصافية، والبسمة المشرقة، وحبات المطر التي تُداعب أوجه الناس، ونهر النيل الذي طالما اسميته نهر الحب.. وها أنا الآن أُبرهن علي تسميتي له بهذا الاسم. فلقد تقابل حبنا هنا مع نهر النيل. تقابلت أرواحنا قبل أن تتقابل وجوهنا هنا عند نهر الحب.الساعة السابعه صباح يوم السبت، ذهبت إلي إحدى الحدائق في المعادي علي نهر النيل، كي أستمتع بصباح هادئ وجميل.جلست بعيدًا كي أستكمل قراءة روايتي الجديدة، حيث أنا والرواية والهدوء.لم يكن في الحديقة سوى ثلاث أطفال يركضون مع والدهم ويلعبون معًا في سعادة ومرح..تركت الرواية قليلًا كي أتأمل ذلك المشهد البهيج.أب وأولاده يستمتعون بأجمل لحظات الصباح، يسرقون من الحياة لحظه حب وفرح..جعلت أُتابع شعورهم وإحساسهم بالأمان لكونهم مع أبيهم..

فجأه جاء أحد الأطفال يجرى باتجاهي وبيده ورده صغيرة بيضاء اللون، تجعلك تبتسم رغمًا عنك بمجرد النظر إليها.“ اتفضلي أنا جبتلك ورده لونها أبيض زي المرسومة على كتابك”..لقد لاحظ هذا الطفل الصغير علي غلاف روايتي صوره لورده بيضاء، فقرر أن يهديني ورده مثلها دون أن يعرفني، أوحتى يستأذن والده فيما سوف يفعله..“ ميرسي جدا يا حبيبي إنت رقيق خالص ”..“ شكرًا يا طنط ” ..وذهب..

ذهب ذلك الملاك الرقيق، ذهب وترك معي أجمل ذكرى، وأجمل قصة حب، قصه بطلها طفل صغيرلم يتجاوز بعد الأربع سنوات.وهكذا بدأ ارتباطي بهذا المكان، وبدأت معه ذكرى رقيقه في حياتى..

obeikandl.com

استمر ترددي على الحديقة كل يوم سبت في تمام السابعة صباحًا، وكان دائمًا بصحبتي بعض الكتب والروايات القصيرة، كما أعتدتُ أن أبدأ يومي بابتسامة، وبقصه من قصص الحب التي خلدها التاريخ علي مر العصور.فما معنى الحياة دون أن نُحب، وأن نُوقع أحدهم أيضًا في حُبنا..كيف يمر يوم واحد علي الإنسان دون أن يشعر بتلك اللهفة على حبيبه، أن ينتظر بالساعات أمام شاشة التليفون لعلها تُضيئ باسمه، أو تتلقي رسالة حب منه، وذلك القلب كيف له أن لا يدق ملايين النبضات ليُرسل بها رسالة استغاثه، ويُعلن حالة الطوارئ، ويرفع الراية البيضاء استسلامًا منه لذلك الغائب عن النظر.يرجوه أن لا يُطيل الفراق أكثر من دقيقة.. ولا حتى دقيقه، فإنها تمر كالدهر علي العاشقين..يكفيه أن يغيب ثانية واحدة، هكذا هو العدل في العشق..فقوانين الحياة لا تنطبق على العاشقين..

وفي نفس المكان ونفس التوقيت، ولكن بعد شهر من قصة الطفل العابرة، حضرت إلي الحديقة، وكالعادة معي شيء أقرأه وأتبحر فيه.. أنزل معه إلي أعماق البحار، وأكتشف معه حياة جديدة ومختلفة عن تلك الحياة على سطح الأرض..جلست على الطاولة التي لطالما كنت أجلس عليها أمام النيل مباشرةً، حيث منظر الزهور والورود التي لا تُشبه واحدة الأخرى في لونها أو حجمها. فهو منظر أشبه بدخولك الجنة من أوسع أبوابها..حيث النقاء والصفاء والقلوب البريئة. قرأت الكثير من الرواية حتى انى اندمجت مع كلماتها ومعانيها وحروفها.. وإذا بوالد الأطفال الثلاث يظهر أمامي ويفاجئني بقول "صباح الخير»..

قال لي صباح الخير..سمعت صوت يُشبه صوت الكروان، لم يكن يتكلم، بل كان يغني بهذه التحية..كانت أول مرة أسمع فيها مثل تلك النغمات وذلك اللحن الذي كان يعزفه صوته بقول صباح الخير..حتى أنني لم انتبه لذلك الزلازل الذي لم يُحرك شيئا من حولي، فكل شيء سواي بقى ساكنًا، فقط زلازل شعر به جسدى، واهتزت بسببه يدي حتى وقعت الرواية أرضًا دون أن أقصد ذلك..

من قال أن الأرض فقط هي التي تهتز لتُحدث زلزالا ؟!..لا فالله يقذف الحب في قلوبنا وتهتز لأجله كل خلايا جسدنا، فنسميه نحن زلزال الرحمة والحب..

انتقل نظري سريعًا لمشهد عجيب، كيف للأب أن يبعث بيده موجات وذبذبات باتجاه الأرض، فتصعد الرواية وتتمايل إلي أن تصل بين يديه وتتراقص ويُصبح غلافها باللون الابيض والوردى..وكأنه أضاف لون الورد عليها، ولون الحب أصبح لونها الجديد..التقط الأب الرواية من الأرض وأعطانى إياها معتذرًا عن وقوفه أمامي مرة واحده دون أن أنتبه لوجوده، مما جعلني ارتبكت ووقعت الرواية من يدي بدون

أن أشعر.

ابتسم لي ابتسامة هادئة بسيطة وقال: "ممكن بعد أذن حضرتك أسيب الأولاد هنا دقيقه واحده هروح أصلي وآجى تانى»..

لم أقُل شيئا سوى " اتفضل»..

ذهب الأب لأداء الصلاة وتركنى مع الأولاد الثلاثة وكنت مستغربه جدا لأن هذا ليس وقت من أوقات الصلوات الخمس، حيث أنها العاشرة صباحًا.

قال أكبرهم: " أنا إسمي يوسف، وحضرتك اسمك إيه؟" .." إسمي فيروز".."الله يا طنط اسم حضرتك جميل، كمان اسمك زي اسم فيروز اللي بتغني"..بنظره ملؤها الدهشة والاستغراب قلت له: " هو إنت تعرف المغنية فيروز؟!".." اه يا طنط خالي بيحب يسمعها كل يوم الصبح، وأنا بسمعها معاه، هو حضرتك بتحبيها؟".." اه طبعًا بحبها جدا وكمان بسمعها الصبح كتير»..

بعد مناقشة استمرت دقائق قليله حول فيروز وأغانيها، جاء الأب بكلمات شكر كثيره وأخذ الأولاد معه وذهب..وعندما وصل للبوابة الرئيسية، نظر إلي الوراء وابتسم إليّ ابتسامه رقيقة ومهذبه ثم رحلت هذه الابتسامة مع الطريق.

واستمريت أنا في القراءة إلي أن جاء وقت الظهيرة، فودعت النيل، والورود، والأشجار، والعصافير، وودعت صوته الذي مازال رنينه في أذني، ثم ذهبت إلي البيت.

لم أحضر الأسبوع التالي نظرًا لانشغالي ببعض الأعمال المنزلية ..لكني حضرت الأسبوع الذي يليه.جلست أقرأ في انتظار حضور الأولاد، فأنا قد أعتدتُ علي وجودهم أمامي يمرحون ويرقصون ويغنون معًا، ويستمتعون بصباحهم المشرق.. انتظرت كثيرًا حتى دقت الساعة تعلن أنها الثانية عشر ظهرًا، وكان علي الذهاب. تمنيت أن يكونوا بخير، وأن لا يكون عدم حضورهم اليوم هو أن أحدهم أصابه مكروه، ذهبت ودعوت لهم كثيرًا في صلاتى، بل أني صليت من أجلهم وتمنيت رؤيتهم مرة ثانية في القريب العاجل..

مرت ثلاث شهور ولم نتقابل أنا والأولاد، حتى جاء صباح يوم سبت ممطر..

ذهبت للحديقة وكلي فرح وأمل ونشاط، كعادتى في كل شتاء ومع سقوط المطر.. دخلت الحديقة، وقبل أن أجلس رأيته..نعم رأيت ملاكى الصغير عمر.جاء يجرى نحوي مسرعًا كي يطمئن علي ويُقبلني.."وحشتيني أوي يا طنط".." وإنت كمان وحشتنى أد الدنيا كلها يا عمر".."إتفضلي يا طنط، ده كتاب فيه كل أغاني فيروز مكتوبه، وفيه كمان صور كتير ليها".." إنت عرفت إزاى إني بحب فيروز يا عمر؟!".." يوسف أخويا قالي إن حضرتك بتحبيها وبتسمعيها كتير الصبح زي خالي".." ميرسي يا

حبيبي، أنا هحتفظ بالكتاب وأخليه معايا طول العمر"..ثم جاء صوت عميق وهادئ ينادى علي عمر ليذهب معه خارج الحديقة ويختفي من أمامي يوسف وعمر ونادر ووالدهم خلف الطرقات..

ذهبت صباح الأحد إلي العمل، حيث أعمل موظفه في قسم الحسابات بشركه خاصه في المعادى بالقرب من تلك الحديقة..ومثل باقي الموظفين اخترت يوم بالأسبوع ليكون يوم أجازتى، فقررت أن أختار يوم السبت، الذي أعتدتُ الذهاب فيه إلي الحديقة كي أخرج من مشاكل وضغط العمل وأتخلص قليلًا من الروتين وأجدد بذلك نشاطى وثقافتى بمتابعة القراءة.

مدام ثناء تجلس الآن أمامي علي مكتبها مُمسكه بيدها سلاحها الدائم..يا للحياة! كيف أصبح سلاحها هذا جزء من حياتنا العملية!..لا تستطيع مدام ثناء الاستغناء عن " الخضار الطازج "..نعم، كل يوم في تمام العاشرة صباحًا تخرج مدام ثناء إلي السوبر ماركت المجاور للشركة لتشتري منه خضار طازج ثم تتوجه مرة ثانيه لمكتبها، لتبدأ في غسله وتنظيفه وتغليفه ثم تضعه في شنطة يدها..

الآن فقط علمتُ لماذا كانت تحرص على أن تأتي العمل بشنطة يد كبيرة هكذا..

وتنشغل بهذا العمل طوال ساعة كاملة في المكتب، إلى أن تنتهى منه لتبدأ الحديث عن أكلها الطيب المذاق، وكيف أن لها طقوسا معينة عند تناول الطعام، لم يسعني الوقت لشرحها، فهذا أسلم لكم ولي حتى لا تسمعنا مدام ثناء..

كانت شركتنا تتميز بالدقة في العمل، وباحترامها للمواعيد، لكن كان هذا هو شعار جميع أقسام الشركة عدا قسم الحسابات..ليس لشئ سوى لوجود أستاذ " رأفت»..

الراعي الرسمى للإعلان عن بيع وشراء وتأجير الشقق والعمارات وأيضًا المحلات. معظم الوقت ينشغل أستاذ رأفت جار مدام ثناء في المكتب، بقراءة إعلانات الجرائد عن البيع والشراء، ثم يبدأ في مهمته الرسمية والشاقة أيضا في إقناع الموظفين بعملية بيع وشراء عله يخرج بمبلغ محترم يضعه في حسابه بالبنك.

جدير بالذكر أيضا أن نُشير إلي " عم محمد " الأمن الذي يُسهل عملية الخروج والدخول لموظفين قسم الحسابات من وإلى الشركة دون أن يُلاحظ أحد ذلك..

أما الجار الثالث وليس الأخير لكل من مدام ثناء وأستاذ رأفت، كان أنا..فيروز، أربع وعشرون عام، خريجى كلية تجاره وإدارة أعمال، تقدير عام جيد جدًا، من سُكّان المعادي، ومن عائله متوسطة. لستُ مرتبطة. ولكنّى أنوى الارتباط علي طريقتى الخاصة وليس علي طريقة أصدقائي..

كنت الموظفة الوحيدة التي تعمل بقسم الحسابات، أكاد أُنجز جميع العمل بمفردى.أبدأ العمل من لحظة دخولي صباحًا الشركة إلي خروجي منه في الساعة الرابعة عصرًا.يُلقبني البعض ب "المتكبرة"..هذا كل ما توصلوا إليه كترجمة لما أنا عليه منذ تعيني بالشركة.سلوك بنت صغيرة لا تتدخل فيما لا يُعنيها، فلا أُشارك مدام ثناء الحديث عن الطبخ والطعام وطريقة تحضير صينية البطاطس بالفراخ التي لا يستطيع أحد مقاومة مذاقها اللذيذ ورائحتها الشهيه، ولا يتفوق أحد علي تحضيرها مثلما تفعل هى..هذا ما قالته مدام ثناء..لا..هذا ما تقوله مدام ثناء بشكل يومى.ولا أُشارك أستاذ رأفت الحديث عن البيع والشراء، وأستاذ "حازم" الذي باع فيلا بما يَقرُب خمس ملايين جنيهًا، وكان كل الفضل طبعًا لأستاذ رأفت الذي سهّل عملية البيع والشراء مقابل مبلغ ليس بقليل من المال يحصل عليه من الطرفين، البائع والمُشترى.

كنت مثالا للشرف والأمانة، مثال لتقديس العمل واحترام المواعيد.لم يحصل أن أخرج ولو مرة واحده من الشركة في مواعيد العمل الرسمية. كنت دائمة العمل بجد واجتهاد، تفوقت في جميع ما أُسند إليّ منذ يومي الأول بالشركة.هذا كله ما جعلهم يطلقون عليّ لقب "المتكبرة"..ليس لشئ سوى لأني أختلف عنهم في كل شيء، ومبادئي تختلف كليًا عن مبادئهم.

قررت أكثر من مرة أن أُقدم استقالتي وأترك الشركة وأن أبحث عن مكان آخر أفضل، ليس ماديًا، ولكن أفضل بالنسبة لي من الجانب المعنوي. مكان أستطيع أن أُقابل فيه من هم يُشاركونى مبادئي وأحلامي في النجاح المستمروتطوير العمل، مكان لا يقل من يعمل فيه عنى إخلاص وأمانه لما نقوم به من دور في نجاح ورقي المجتمع.

لم يكن هذا فقط نقط الاختلاف بيننا، فقد كنتُ مختلفة أيضا في شكلي ومظهري الخارجي، فلم تتقبل مدام ثناء هذا الشيء مطلقًا.فهي تؤمن أن من ترتدى "بنطلون" ليست علي قدركبيرمن الإيمان والتدين.وليست علي نفس المستوى الديني والأخلاقي لتلك التي ترتدى جلباب طويل، أوعلى الأقل جيب واسعة.

لم تنتبه مدام ثناء إلي فيروزالتي نعم ترتدى بنطلون، لكنّ الجميع يشهد بأخلاقها العالية وتربيتها الراقية وقربها وتعلقها بالله، وتترجم كل ذلك في معاملتها مع العالم أجمع.بل والأكثر من ذلك حرصها الشديد على الأمانة، وأولها الأمانة في العمل التي تجتهد فيه يوميًا، حتى وإن لم يرها المديرتعمل طوال اليوم بمفردها دون مساعده من أحد..للأسف كانت جارتى في المكتب، مدام ثناء، لا تهتم إلا بالمظهروالشكل الخارجى، تاركه ما يشعه الإنسان من حب وإخلاص وإنسانيه واحترام للآخرين.فهي لم تُترجم

الدين والقوانين الإلهيه في عملها ومعاملتها مع الناس والمجتمع..بل أنها تحكم علي الناس وعلي نواياهم، وكأنها هي من تطّلع علي قلوبهم وهى من سوف تُحاسبهم..

صباح يوم الجمعة ذهبت للشركة وكنت أمسك بيدي ورقة استقالتي.توجهت مباشرةً إلى مدير قسم الحسابات، الذي طلب منى بعد مناقشة استمرت أكثر من نصف ساعه لرفضه طلب الإستقاله، تمسكًا منه بي في العمل، أن أتوجه بالإستقالة إلى مدير الشركة مباشرةً كي يُخلي هو مسئوليته..وفعلا أنهيت حيرتى وذهبت لأول مرة لمدير الشركة.

توجهت كالعادة يوم السبت الساعة السابعة صباحًا إلي الحديقة، لكن هذه المرة كان بصحبتي كتاب الله..قرأت الكثير من السور والآيات، قرأتها بقلبي قبل أن يقرأها لساني وتقرأها عيني..

دائما في كل زمان يبعث الله لهذه الأرض الأمان، الرضا، الصبر، السلام، والكثير من الأمور الجميلة التي نبحث عنها كثيرًا طوال الوقت، ولكن لا ينتبه الجميع لتلك الرسائل الربانية، البعض فقط هو من يستقبل هذه الرسائل ويحتفظ بها إلي قيام الساعة.

حاولت أن أصنع تغيير في يومي وفي حياتي، فقد تخلصت من الضغط الذي كان يبتلعنى، مثلما يبتلع الثعبان فريسته..

فقررت أن أذهب إلي أماكن لم أكن مررت بها منذ سنين، نظرًا لانشغالي الشديد بالدراسة ثم بالعمل.بدأت بزيارة الأهرامات وأبو الهول، ذهبت كذلك للقلعة، قلعة صلاح الدين الأيوبي التي طالما أطلق عليها الكثير "قلعة محمد علي" عن طريق الخطأ، نظرًا لوجود "مسجد محمد علي" بها.

زُرت كذلك أقدم الكنائس والمساجد المصرية العريقة، وعشت روحانياتها ونسيت العالم الخارجي بأكمله.ولقد سَعدْتُ بذلك كثيرًا.ذهبت أيضا في رحلة قصيره إلي مدينتي الأقصروأسوان.شَهِدْتُ بنفسي علي روعة وجمال وإبداع المصريين القدماء.. فقد قرأت الكثير من الكتب عن فن النحت والتحنيط وعلوم الفلك والرياضيات وغيرها من الفنون والعلوم القديمة التي توصّل إليها المصريون القدماء..وذلك عندما زُرت "مكتبة الإسكندرية" وأنا في طريقي إلى "قلعة قايتباي»..

كانت رحلة حقًا جميلة زرت فيها بعض من الأماكن الخلابة في محافظات مصر. إستمتعت كثيرًا بهذه الانطلاقة بعيدًا عن حياة الدراسة والعمل، وهربتُ من تدخل الآخرين بحياتى.لكن لم يكن ينقصنى في هذه الرحلة سوى شيء واحد، شيء واحد فقط بإمكانه أن يطبع على قلبي الفرح والسعادة..

obeikandl.com

فكان هناك شعور واحد يُسيطر علي قلبي، ألا وهو رؤية "يوسف وعمر ونادر" ..وشخص آخر كان دائمًا برفقتهم..ليتي أعرف اسمه..

كنت جالسة يوم السبت بالحديقة كعادتي، فإذا بهاتفي يرن عدة مرات مما اضطرني للرد، كانت بالنسبة لي مفاجأة!!.

مدام ثناء!!نعم مدام ثناء تتصل بي لأول مرة منذ أن تقابلنا في العمل وتعارفنا.

لم أترك نفسي للتفكير الكثير في سبب الاتصال، فأسرعت بالرد.."إزيك يا فيروز عامله إيه؟من ساعة ما سبتى الشغل من شهر واحنا عايزين نطمن عليكى بس معلش بقي إنتى عارفة ضغط الشغل واحنا كنا مشغولين اوى الفتره دي بصراحه»..

للأسف تكلمت مدام ثناء عن ظروف الشغل وضغطه وانشغالهم مع الشخص الخطأ، نعم، فأنا التي تعلم مدى الفراغ الذي يعيش فيه موظفي قسم الحسابات في الشركة، وأعلم أيضا مدى الاستهتار والخروج والدخول إلي الشركة في مواعيد العمل الرسمية دون إذن.

«الله يسلم حضرتك، أنا الحمد لله بخير وشكرًا جدًا لسؤالك واتصالك"..''طيب الحمد لله يا حبيبتي إنك بخير، وربنا يعوض عليكى وتلاقي شغل تانى قريب..آه صحيح، إنتى معرفتيش الأخبار الجديدة»..

هذا هو سر اتصالها إذا بي بعد دخولي مكتب المدير لتقديم استقالتي، ولم يتوقفنى أحد منهم كي أتراجع عن الاستقالة، بل وترحيبهم بذلك.

إنتى معرفتيش إن في موظفة جت إمبارح مكانك في القسم؟!بس إيه!!حاجة تانية خالص..فيروز معلش حبيبتي لازم أقفل دلوقتي علشان عندي شغل وهبقي أكلمك تانى اطمن عليكى مع السلامة»..

الآن فقط عرفت السبب وراء اتصالها المفاجئ لي، وأعلم كذلك أنها لن تُعاود الاتصال بي مرة أخرى، فقد حققت هدفها من الاتصال، وأخبرتنى بنبأ الموظفة الجديدة. لماذا لم يتركونى وشأني؟!أكان هذا استفزازا لي؟ أم انها ودت أن تُحبطنى وتُقلل من شأني؟!ليس بيدي شيء سوى أن أدعو الله أن يهديهم جميعا.

"صباح الخير"..كان هذا صوت الموظفة الجديدة بالشركة "أنغام" مثلما أطلق عليها أستاذ "مجدى" زميلهم بالمكتب.

«يا صباح الورد والجمال والدلع"..أنا أستاذ مجدى زميلك هنا في المكتب، ولو احتجتى لأي حاجه جوه الشركة أو بره، قوليلي يا قمر وأنا وكل الشركة تحت أمرك»..

هذا كان رد أستاذ مجدى على أنغام، أستاذ مجدى، ٣٤ سنه، غير مرتبط، ولكنه قرر الارتباط لحظة وصول أنغام الموظفة الجديدة إلى الشركة.أما أستاذ رأفت فقد

أُعجب كثيرًا هو ومدام ثناء بروح الدُعابة لدى أنغام، فهي غير مُعقدة، مُنطلقة، دلوعة وشقية، تحب الضحك والهزار كثيرًا، تدخل وتخرج من الشركة دون إذن، يكفي فقط أن تُخبر حارس الأمن برغبتها في الخروج، ليفتح لها علي الفور جميع بوابات الشركة أمامها، ويسألها من أي بوابه تود الخروج منها.

لم يستطع أحد أن يُقاوم جمال ورقة ونعومة أنغام، الكل يحبها ويتقرب منها، الكل يعجبه مرونتها في التعامل وروح الضحك والمرح التي جلبتها معها للمكتب منذ لحظتها الأولي.

اضطرت أنغام أن تأخذ يوم السبت الأجازة الرسمية لها، مثلما كانت تفعل الموظفة السابقة "فيروز»..

صباح الأحد التالي، جاء هواء خفيف يُداعب فستان أنغام الوردي القصير.. فحرك كذلك شعرها البني الطويل وجعله يرقص وينفرد علي ظهرها وكتِفيها، مما جعل شنطتها البيضاء الصغيرة تُعلن عن تمايل وتراقص أنغام في مشيتها الهادئة مُرتديه الكعب الوردى العالي..طلت أنغام بطلعتها الجذابة الرقيقة من البوابة الرئيسية، فجعلت كل موظفي الشركة ينتبهون إليها.

يوم الأثنين جاء مدير الشركة ليدخل بسيارته ال BMW السوداء من البوابة الرئيسية، فلم يرى حارس الأمن فقط كالعادة، بل رأى حشد كبير من موظفي الشركة بجميع أقسامها يقفون عند المدخل وينظرون باتجاه واحد.

ظن المدير وقوع حادثٍ ما، جعلهم يقفون هكذا، فتمنى أن لا يكون أصاب أحد مكروها، فهو يحب الشركة وموظفيها ويحرص على سلامة الجميع.

عندما انتبه أحدهم لوجود المدير بينهم، جرى سريعًا وأخبر الباقين، وفي خلال أقل من ثانية تبخر كل من كان يقف أمام البوابة وذهبوا إلي مكاتبهم.عندئذٍ فقط عَلِمَ المدير لماذا كل هذا التجمهر!!وذلك عندما مرت من أمامه فتاة جميلة في أوائل العشرين من العمر، بشعرها الجذاب وبلوزتها الحمراء التي تكشف عن ذراعين جميلين، وبنطلون أسود ضيق، يكشف عن جسد رشيق متناسق، وكعب أحمر عالي يُعلن عن توازنها ورقة مشيتها..أقل ما يُقال عنها "أنها الجمال والرقة والأنوثة عندما تجتمع معًا في شخص واحد»..

مر عام كامل على تعيين أنغام بالشركة، وأخذت تتفوق في عملها، وتصعد كل يوم درجه عن اليوم الذي قبله، إلي أن وصلت بنجاحها وتفوقها لمكانه كبيره، جعلت كل من كان في المكتب يفرح لها، فهي الآن أصبحت "مدير قسم الحسابات" بالشركة..

وعند أول اجتماع لمديرى الأقسام مع مدير الشركة، أثبتت جدارتها بهذا المنصب

obeikandl.com

الذي وصلت إليه سريعًا، فانتهزت الفرصة وعرضت علي المدير "خطة تطوير قسم الحسابات"، مما جعل المدير وكل من في الاجتماع يُعجب بذكائها، فطلب المدير من باقي رؤساء الأقسام الاقتداء بها في عمل "خطط تطوير مناسبه لأقسامهم»..

توجهت إلي سجادة الصلاة، وصليت وخشعت لله وبكيت كثيرًا، ولكن مع ذلك كان قلبي مُطمئِن وحسيت بالرغم من آلامى..بالأمان والثقه بالله.

لم أكن أقصد ما فعلته، ولم أُخطط له في يوم من الأيام.لكنها الصدفة، الصدفة هي التي جعلت كل شيء يسير على هذا النحو، فقررت أن أعتبرها "فرصة"، أو "إشارة" من الله كي أبدأ من جديد.فأنا لم أؤذى أحدا، ولم أخدع أحدا، لكنهم هم من خدعوا أنفسهم.

فأنا لم أفعل شيء من بعد خروجي من مكتب المدير حين كنت أقدم استقالتي، سوى أني اقتنعت بكلام صاحب الشركة لي، الذي كان هو من بالمكتب وليس المدير، حيث لم يأت المدير هذا اليوم نظرًا لانشغاله بأعمال أخرى خارج الشركة.

أقنعنى صاحب الشركة بعدم الاستقالة، وأن أتقدم لطلب أجازه لمدة شهر، ويكون هذا استثناءا لي، إيمانًا منه بتفوقي وإخلاصي الشديد للعمل، وأن أذهب بعيدًا لأي مكان هادئ كرحلة هادئة بعيدة عن التوتر والضغط النفسي، ثم أرجع لأواصل عملي، وأن لا أيأس أو أترك مستقبلي وحياتي بسهوله، ولا أترك نفسي فريسه لبعض الفاسدين في الشركة وأجعلهم بذلك ينتصرون عليّ.

كذلك أخبرني بأنه سوف يتكلم مع مدير الشركة بشأنهم، وإما أن يُعاقبهم، أو يفصلهم من الشركة، لكني أخبرته بلفت نظرهم فقط، وإعطائهم فرصة أخرى كي يصبحوا أشخاصا جيدين.

وعندما عُدتُ بعد شهر من رحلتي الجميلة التي استمتعت بها كثيرًا وملأتني بالأمل والتفاؤل، قررت أن أُغير فقط شيء من مظهري وشكلي الخارجي، وليس من مبادئي أو أخلاقي..فطبعت جانب من الضحك والمرح على شخصيتي.

عندما دخلت الشركة بعد انتهاء أجازتى..وأنا بشكلي المختلف، تهيأ للجميع أني موظفه جديده بدلًا من فيروز بعد أن قدمت استقالتها منذ شهر، علي حد علمهم. أطلق عليّ أستاذ مجدى اسم "أنغام" دون حتى أن يهتم لمعرفة إسمي الحقيقي..

نعم كان شكلي مختلف تمامًا، وهناك فرق شاسع بين كلٍ من "فيروز" و"أنغام" مما اضطرني أن أستغل الموقف، وأكسب الجميع، ثم أُعلن عن نفسي في وقت آخر.

وها هو الوقت قد جاء، وجاءت اللحظة التي كانت تخيفني طوال عام كامل.

أنا الآن رئيستهم بالعمل، ومحبوبه من الجميع، بل أن الجميع يتهافت للتقرب إليّ.فعملت كثيرًا علي تطوير قسم الحسابات، مما جعل كل من في القسم يتقرب إليّ بإخلاصه واجتهاده في عمله.ومع ذلك كله، لم يتخلى البعض عن شيء من الاستهتار والإهمال في العمل، كخروجهم ودخولهم بدون إذن.ولكنى أحرزت تقدم بالغ في تقدم العمل وفي إصلاح جزء ليس بقليل من شخصيتهم.

أما عن نفسي..فأنا لم أتغير ولم أفعل شيء ضد إيمانى ومبادئي، وعندما كنت أخرج من الشركة بمساعدة الأمن، ظنًا من البعض أنني أفعل مثلهم، كنت أصعد من باب آخر للشركة، وأتوجه لمدير الشركة الذي كان علي علم بما أفعله منذ البداية، وذلك عن طريق صاحب الشركة الذي قابلته مرة واحده فقط عندما ذهبت لأُقدم استقالتي..فنأخذ في كتابة بعض خطط تطوير للشركة..

مدير الشركة سَعِدَ كثيرًا بالاسم الذي أطلقه عليّ أستاذ مجدى، وحرص علي عدم كتابة أي ورقه بإسمي الأصلي "فيروز"، كي أتمكّن من تكملة الخطة..

تركت مهمة الكشف عن حقيقتي للمدير وصاحب الشركة، الذي قرر عقد اجتماع فورى لجميع مديري وموظفي الشركة..

طلبت منه أن لا أحضر الاجتماع. لكنّه تحدث معي بالهاتف بعد الاجتماع بساعة وشكرني كثيرًا على مجهودي في تغيير قسم الحسابات، وتأثير ذلك على موظفي الشركة أجمعين..

فأنا لم أتشوق لرؤية مدام ثناء عندما تصدمها الحقيقة، فهي التي صدمتنى عندما تخلت فجأة عن المظهر الخارجى، ولم تعترض إطلاقًا على شكل وملابس "أنغام"، التي كانت عكس "فيروز" تمامًا، وذلك لمجرد أن أنغام تضحك وتمرح وتدخل وتخرج من الشركة وتفعل تمامًا مثلما يفعل الجميع بالقسم.

أيضا لم أتشوق لرؤية أستاذ مجدى الذي لم يُفكر ابدًا في الارتباط بفيروز، الفتاة المثقفة المؤدبة الناجحة في عملها، ولكنه قرر الارتباط بأنغام الشقية الدلوعة منذ اللحظة الأولى لرؤيتها.

يا الله.. كيف أصبح وجه أستاذ مجدى عندما عَلِم بأن الفتاتان نفس الشخص؟!..

أثناء انعقاد الاجتماع توجهت للحديقة لأول مرة في وقت غير يوم السبت الذي اعتدتُ أن أتواجد فيه في الحديقة.فكانت هناك مفاجأة أخرى تنتظرني..ولعل هذا هو ثمرة دعائي وصلاتي لله.

نعم كان هناك وجه برئ وقلب صافي ونقي، أنه وجه كلٍ من عمر ويوسف ونادر، ووجه من تشوقت كثيرًا لرؤيته "أبيهم"..جاء إليّ في ثقة وثبات وقال لي أنه يبحث عنى

منذ آخر مرة تقابلنا في الحديقة، وأنه دعي الله كثيرًا لرؤيتي، وها هو دُعائه يُستجاب اليوم..

أخبرني عن إعجابه بي منذ اللحظة الأولي لرؤيتي، ورغبته في الارتباط بي إذا كان لدى نفس المشاعر تجاهه..

نعم كان لدى نفس الشعور والإحساس، ولكنّي لا أود الارتباط بشخص مرتبط عنده زوجة وأولاد، لا يسعني أن أحرم أب من أولاده، أو زوجة من زوجها، حتى وإن جمعتنا قصة حب رقيقة ونقية كقصة حبنا هذه..

ابتسم الأب ولم يقل شيئا، لكن "عمر" تكلم وقال من الكلمات ما جعلني أوافق علي هذا الإرتباط..

فقد قال: "طنط فيروز اقولك علي سر؟!..خالي "ساجد" هو اللي إدانى الوردة البيضا علشان اديهالك، وهو كمان اللي خلانا نسألك عن اسمك، وكمان هو اللي جبلك كتاب أغاني فيروز»..

السر الذي أفصح عنه عمر اليوم، كان أجمل أسرار حياتي، فكلمات عمر جعلت قلبي يطير من الفرحة، ليصعد عاليًا إلي السماء، ثم يتراقص ليسقط أمطار غزيره، تجعل مِن كل شيء علي الأرض يخضّر وينبُض بالحياة، وجعل الورود والأشجار والثمار تُشاركنى فرحتي وحبي هذا..

يا الله!!كم هو اسمه جميل "ساجد"، وكم هي رحمة الله واسعه، الآن فقط أعترف بسعادتى لكل شيء مر بحياتى الفترة الأخيرة، وازداد إيمانى بقضاء الله وقدره..

ولكن يبقي سؤال واحد فقط يُحيرنى!!.."هل ما أنا فعلته كان صواب؟!أم أن هذه الطريقة أنبتت ثمارها عند الآخرين، ولكنها لم تغفرلي فعلتي هذه؟!..

*****

الرئيس الإرهابي قاتل الأطفال

في رحلة عودتي اليوم إلى المنزل كانت التجربة مليئة بالمشاعر الإنسانية التي نادرا ما يعتري أحد وقلما ما تقرأ عنه.

خرجنا نرفض الإعلان الدستوري، ونأكد على "سقوط شرعية الرئيس" بسبب منح نفسه السلطة المطلقة ونصب نفسه "مصدرا للسلطات" دون الشعب.منذ أمس ونحن نضرب بقنابل الغاز المسيل للدموع ونوع جديد غازه غير مرئي (لا يصدر منه دخان واضح) وتشعر بتأثيره المركز جدا في لحظة ثم في ثواني يفقدك كل تركيزك ويخلق صعوبة بالغة في التنفس. استمر إطلاق القنابل من النوعين بتواتر سريع "مع طلقات خرطوش" بتواتر بطئ حتى صباح اليوم.الشرطة تطلق القنابل في منتصف ميدان التحرير.كان الغاز يتسرب إلى محطة مترو التحرير وينحبس في الممرات ويكون تركيزه أعلى بكثير من السماء المفتوحة فوقه.

مع خروج الموظفين وباقي راكبي المترو، كنا ندعوهم للخروج سريعا لأن الهواء أقل ضررا على سطح الأرض (في الميدان).بالتحديد الساعة ٩ صباحا وبالتقريب بعدها ١٥ دقيقة.خرجت أم تحمل طفل رضيع لا يتجاوز عمرة بضعة شهور.كانت مختنقة جدا هي والطفل، ثم بعد صعودها بعض السلالم سمعت إطلاق القذائف.بدأت البكاء والعويل وكانت في حالة رعب شديد - لم أصادف مثله طوال أمس واليوم - قررت تعود إلى المترو ثم فقدت اتزانها ولم تعد تعلم أين تذهب.فقط عويل وبكاء. قفزت نحوها بكل سرعتي وأخذت منها الطفل وطلبت منها "الجري ورائي".أتذكر كيف بدأ الطفل، مثلنا، في غمض عينيه، ثم تمرير يده نحو أنفه وعينيه، ثم البكاء الشديد.

هنا كانت رحلت عودتي إلى المنزل.أصبح الطفل في حالة صعبة وكنت أبكي ولا أرى أمامي سوى مترين وأنا أجري بقدم يمنى دامية.والأم تلحقنا ولا تكف عن البكاء.

obeikandi.com

الغاز ينتشر لمئات الأمتار خارج الميدان، أينما ذهبنا يدركنا.قررت ركوب تاكسي (دون أخد رأي الأم) جريت حتى أوقت واحدا وطلبت منه الانطلاق بعيدا في أي اتجاه. كان السائق مشغل التكييف ووجه نحو الطفل الذي استعاد أنفاسه بعد دقائق.كان طفل ذكي جدا، كنت امسك له "كيس شيبسي" وبعدما أكله، أشار إلى زجاج باب السيارة عدة مرات، حتى فهمت أنه يطلب مني أن أرميه خارجا!!أين كانوا سيذهبون؟

بعيدا، لا أتذكر المكان، ولكن السائق أخبرني بأنه مبلغ، وأنا لا أستطيع دفعه. أما هي، فتخيل معي امرأة هزيلة عشرينية معدمة الحال والبؤس والهلع يتملك ملامحها.فقررنا الذهاب إلى رمسيس.على جانب آخر حكى لنا السائق عن عشرة أعوام من عمرة في المعتقل بسبب تدينه، ثم مشاركته في أول اعتصام في الثورة، ثم بانتخاب الإخوان الذين خذلوه وتأكد من تجارتهم للدين وأصبح ضدهم.كان كل ذلك باختصار شديد.ويتحمل هو مسئولية صحة ما قاله لي.

الأجرة "٥ جنيه" بالطبع هي لا تستطيع تحمل هكذا "تكلفة" فتكفلت بها دون سؤالها.وخرجت تحبث عن أتوبيس وهي في حالة أفضل قليلا.

الرئيس الذي أهمل الإصلاح فتسبب في قتل ٥٠ طفلا في أسيوط.اليوم قد أنقذت طفلا من الموت، وأنقذت الرئيس من قتله.وصلت البيت حوالي الساعة الـ ١١ صباحا، ولا أدري...

كم سيادة الرئيس طفلا قتلت اليوم في بلدنا "المعمورة"؟

ولا تنسوا، فشرعيته أسقطها، ولم يعد الرئيس.

*****

تجربتى مع المراقبة

تعلن الساعة عن تمام التاسعة صباحا...ابدأ بتوزيع أوراق الإجابة والأسئلة... وبعدها ب ٥ دقائق...تبدأ الطالبات بالنظر إلي طويلا ثم ابتسامة...وكأن الحياة تبتسم لي بوجوههم...فأبدأ انا أيضا بالابتسامة لهم كي اطمئنهم ولا يتوتروا..

تجلس هناك طالبة وتكتب بالقلم الرصاص، وكأنها تخاف من ان تمشي بطريق خطأ، فإذا ادركت ذلك، تبدأ باستخدام الممحاة وتمحو كل قراراتها الخاطئة، كي تمسك بالقلم الجاف وتمشي بالطريق الصحيح.

بينما أخرى تكتب وتكتب وتمتلكها كل الثقة والقوة، فهي قررت من البداية أن تستخدم القلم الجاف مباشرة، وكأنها أرادت أن تسير في طريقها ولا تتراجع فهي تعلم كل العلم بأن اختيارها صحيح.

أما تلك التي تنظر حولها في كل اتجاه، معلنة عن تشتت أفكارها وحيرتها فهي لا تعلم أي الطريقين تسلكه، القلم الرصاص أم القلم الجاف.

وهذه الأخرى لا تملك سوى (براية) تبرى قلمها مرارا وتكرارا، وكأنها غير راضية عن خطواتها بالطريق وتريد أن تخطو خطوة ثابتة.

لم أستطيع أن أتجاهل تلك التي تمسك (بالمسطرة) لا يمضي وقت على كتابتها وتمسك بالمسطرة تضع خطا طويلا على ما أنجزته، وكأنها خائفة من أن تأتي العصفورة وتأخذه، فهي لا تريد أن يضيع منها ما أنجزته بحياتها.

ولفتت نظري تلك التي تمسك (آلة حاسبة) لا تمضى بالطريق إلا وهى تحسب حساباتها ، وتأتى بنتائج دقيقة، خوفا من غدر الأرقام بها.

ولكن في وسط زحام اللجنة تجلس هناك فتاة صامتة تتأمل كل أدواتها المدرسية وتحتار بأيهم تبدأ، ولكنها لا تدرك أن الزمان لا ينتظر قرارها فهو يمر سريعا.

obeikandi.com

الجميع يبدأ بالعمل دون توقف، مع اختلاف قراراتهم وأدواتهم. ثم تعلن الساعة عن ١١ وكأنها تعلن عن توقف الحياة للجميع...مع ابتسامه أخرى ابدأ بجمع أوراق الإجابة، واترك لهم ذلك الإحساس الذي لا يستطيع أحد الهروب منه، إلا وهو..أي الطرق كان صحيحا..

*****

obeikandl.com

الرب

همس: سيدى، ألا تعلم شيئًا؟!

السيد: ماذا علي أن أعلم؟!

همس: ألست أنت رب هذا المعبد، ألست أنت وحدك تعلم الحاضروالغيب؟!

السيد: بلي، أنا ربك، ورب هذا المعبد، وربهم جميعًا، فمَن غيري يأمروينهى؟!

لا أحد..

إذًا أنا مالك كل شيء في الأرض وفي السماء.

همس: حسنًا، ألا تسمع هذه الضجة في الخارج، ألن تُخبرنا لما السماء تتخبط هكذا، كما لم تتخبط من قبل؟!

الكل في حالة فزع ورعب سيدى، ألن تُطمئن الجميع الآن وتخرج لهم؟!

السيد: يا همس، أن أسمع كل شيء قبل أن يسمع أي شخص آخر، وأرى ما لم يره أحد سواي، وأشعر بما هو قادم، فأنا وحدي أعلم الغيب، أنا الذي أتحكم في أرواحكم جميعًا وأُغيّر مصائركم كيفما شئت ووقتما رغبت يا همس..

همس: إذًا أنت تعلم أن الناس يجتمعون الآن أمام المعبد، يرجون النجاة، يتزاحمون للدخول والاختباء من السماء، يتصارعون للوصول إليك مِن أجل حمايتهم..

فقد سمعت أحدهم يقول: أن الرب قد غضب علي أهل الأرض، وقال الآخر أن ال...

السيد: أصمت، أصمت أيها العبد.ماذا تقول، أتكفر بي؟أي رب هذا غيرى؟ ألا تعلم بأني أنا الرب؟ألا يعلم الجميع ذلك؟

الويل لك ولهم ولكل مَن يكفربي يا همس.

همس: بلي، بلي، يا سيدى، أنت الرب، مَن سواك إذًا!

ولكن عفوًا سيدى، فقد جاء أحدهم ليلة أمس وذاع بين الناس بأنك..أنك.. لست..لست..

السيد: لست ماذا؟!اللعنة عليك وعليهم جميعًا..أتكفرون بربكم؟!الويل لكم الويل لكم..

همس: لا لا لا يا سيدى، العفو والغفران سيدى. اعفو عنى يا سيدى، فأنا عبدك المخلص، عبدك المطيع الذي يسهر الليل مِن أجل خدمتك، وسأظل هكذا ماحييت. أما هؤلاء، فليذهبوا جميعًا للجحيم، أنزل عليهم سخطك وغضبك. فلا يأكلون ولا يشربون ولا يجيدون مأوى لهم بعد الآن.

فأنا، أنا يا سيدي لن أسمح بأن يصيبك أي مكروه منهم أو مِن أي مخلوق علي الأرض، أو حتى في السماء.

السيد: ماذا تقول؟!مكروه!، الويل لك أيها الغبي، ألا تعلم بأن الرب لا يصيبه أي مكروه؟!

أنا الذي أنزل علي قومك المرض والفقر والخوف يصيبني مكروه؟!ألا تخجل من جهلك؟!

همس: العفو والغفران سيدى، العفو والغفران. اصفح عنى سيدى، اصفح عن عبدك المسكين سيدى.

مُخلّص المدينة: هيا، هيا، اقتربوا، تماسكوا، كونوا علي قلب رجل واحد، هيا، أصرخوا، دعوا أصواتكم تصل للسماء، اجعلوا أبواب هذا المعبد تخضع لكم. اجعلوها تخضع لإيمانكم، اجعلوا النور والإيمان يملأ أرجائها.

المُخادع: هيا أيها الناس، القوا عليهم الحجارة، ارجموهم، اقتلوا هؤلاء الذين يكفرون بالرب ولا يريدون أن يُعبد الرب في الأرض بعد الآن.

همس: سيدى، سيدى، لقد تقاتلوا للتو، سيدي يجب عليك فعل أي شئ. الجميع يتعارك مِن أجل البقاء، الجميع يتعارك والدماء تسيل أمام المعبد.

عليك سيدي أن تفتح أبواب المعبد كي تحمى المؤمنين بك، لا تتركهم يُقتلون هكذا. فلن يتبقى منهم أحد، وأخشي أنك لن تُعبد بعد الآن في الأرض.

السيد: ماذا حلّ بك يا همس؟ ماذا حدث لإيمانك؟ أنا باقٍ إلي الأبد.

يا همس: الرب لا يموت.

همس: نعم سيدى، أنا أُصدقك، ولكن عليك فتح أبواب المعبد على الفور.

السيد: أليس هذا من الغباء أيها العبد؟ ألست بغبي يا همس!، ألم تعلم بأنهم إذا وصلوا إلينا، دمروا المعبد وقتلوا كلينا!.

obeikandl.com

دعهم يتقاتلون، وإذا انتصرت الطائفة التي تؤمن بي، انتصرت أنا، وحكمت الأرض من جديد.وإذا انتصرت الطائفة الأخرى، يا بُشرى، تخلصت أنا من المخادعين الذين يزعمون الإيمان بي، وتوسلت للأخرين بحكمة ومكر كهنة المعبد، وبقيت بينهم في سلم وأمان.

همس: ماذا؟!ماذا تقول أنت؟!ألست أنت الرب، ألم تقل أن الرب لا يموت؟كيف يتوسل الرب إذًا إلي عبيده؟!.

السيد: الرب بالمعبد والعرش لا يموت يا همس، أما إذا نال الجميع من المعبد واعتلى سواي العرش، فإن الرب حتمًا يموت.ولا ضرر أن أتوسّل إلى أحدهم.

همس: إذًا لا أنت ولا غيرك هو الرب، تمامًا كما قال أحدهم ليلة أمس، ألا لعنة الله عليك وعلي معبدك هذا.

السيد: همس، همس، أخي الصادق المطيع، ماذا تفعل، ماذا تمسك بيدك، همس..

همس: سوف أُخلّص كل هؤلاء الذين توسلوا إليك سنوات وسنوات مِن أجل الطعام والشراب والمأوى.

سوف أنتقم لكل هذه السنوات الطويلة الماضية.

مُخلّص المدينة: أيها الناس!هيا!أبواب المعبد قد فُتِحت، وها هو همس قادم إلينا..هيا اقتربوا، هيا.سوف يتحدث الآن إليهم.

همس: هيا إتركوهم يمرون فورًا.ماذا تريدون منهم؟!لماذا جئتم؟!

أجئتم مِن أجل الرب؟!

أجئتم مِن أجل الحماية؟!

أم جئتم تبحثون عن المأكل والمشرب والمأوى؟!

كل هذا أصبح لا شئ..لا شئ..

الليلة هي آخر ليلة للذل والقهر والحرمان والاستبداد والعبودية.

الليلة لا مكان لكافر بيننا..

أهذا مَن أسميتموه الرب؟!

ها هو سابح اليوم في دمائه..

أيموت الرب؟

أيُقتل الرب؟!

لا بل نحن مَن نموت، ونحن مَن نُقتل ونُستعبد!

مَن مِنكم يريد الخلاص؟!مَن مِنكم يريد الحرية؟!

أجيبونى!

بعض مِن أهل المدينة: نعم، نعم، نحن يا همس، نحن الذين خضعوا طوال حياتهم للوهم، نحن الذين صنعنا هذا بأيدينا يا همس، الآن نريد الفرار مِن هذا المصير.

همس: إذًا أهدموا هذا المعبد، ولا تبنوا أي معابد أخرى علي هذه الأرض.لا تصنعوا بأيديكم طاغية أخرى تتحكم في مصائركم وأرواحكم، لا تتحكم في الهواء الذي تستنشقونه بعد الآن.

هيا أيها القوم، هيا، مَن يريد الخلاص، مَن يريد الخلاص؟!.

مُخلّص المدينة: والآن وفي هذه اللحظة من حياتك، أبشر يا همس، أبشر بالنور والبصيرة، فالله وحده هو ربنا جميعًا، هو وحده مَن يملك السماوات والأرض.

أيها الناس!

مَن مِنكم معنا، ومَن مِنكم لا يؤمن بنا؟!

بعض من المدينة: نحن، نحن جميعًا معك.

مُخلّص المدينة: لا بل مع الله..

فأنا وهمس وأنتم جميعًا راحلون ذات يوم، لكن الله باقٍ لا يرحل.

المخادع: أما أنا وكل هؤلاء، فلسنا منكم، ولن نتّبعكم، بل سأكون أنا ربهم الجديد، وسوف أبني معبد أكبر وأعظم من هذا، وعلي الجميع أن يسمع ويصغي لتعاليم الرب الجديد.سوف أترك هذه المدينة، ولكنى حتمًا سأعود مِن جديد ذات يوم.

قوم المخادع: نحن نتوسل إليك أيها الرب الجديد، أن لا تتركنا بعد اليوم، أحمنا، دع بركاتك تصل إلينا، ابعد عنا شر هؤلاء، نحن نوعدك بأننا سنؤمن بك، إلي أن تموت ويأتى رب جديد غيرك.هكذا هو عهدنا..

obeikandi.com

كوب واحد لشخصين

كانت الرؤية معدومة تمامًا، والثلج يتساقط من السماء، وكان يزحف ببطء شديد وهو يجر قدميه في الثلج وبيده اليمنى يحمل أزهار البنفسج.

من دون أن ينظر إلى المرأة السمينة بجانبه، غمغم قائلا: أيها الشيطان ابتعد عنهم واتركهم لمصيرهم، وحده هو يتولّي أمورهم، ألا يكفي سماع صرخة من جهنم كي تنتهى من بشاعتك وحماقتك هذه؟!.

ودعى الله أن لا يفقد الطريق.

- وتذكر-

بجب عليّ الآن أن أذهب لأحمل الجثة وأدفنها قبل أن تتعفن.ولكن كيف لي أن أتعرف عليها وسط تلك الجموع من جثث المدينة ، بعد أن شوهت أيدي الاحتلال وجوههم وأجسادهم؟!.

جاءت عاصفة ثلجية، لتنقله من موقعه هذا إلي شجرة ساقطة آخر الطريق. وعندها، مر بجانبه شاب طويل، ذو وجنتين محمرتين، يتجه بنظره إلي أول الطريق، حيث فتاة جميلة، يكسو الثلج شعرها البني المنسدل على كتفيها.

فتلفت الشاب يمنة ويسرة، ثم سار نحو الفتاة. فتنهدت الفتاة وجرت باتجاهه، وجسدها يرتعش من فقدها حبيبها طوال تلك السنوات الماضية، أكثر من ارتعاشة للبرد الشديد والثلج الذي يكسو جسدها الضئيل.

نظر حامل الورد البنفسج ليد الشاب وهى تمتد باتجاه رأس الفتاة، لتمسح الثلج وتزيحه عن شعرها البني الطويل، وليعطى لنفسه الفرصة، كي يقترب أكثر منها.

بدت الفتاة وكأنها بالثوب الأبيض يوم زفافها، فكست وجهها ابتسامة هادئة رقيقة، جعلت حامل البنفسج يشعر هو الآخر بالأمل في لقاء قريب يجمعه بحبيبته، تحت حبات الثلج الأبيض.وانتزعت ابتسامتها من قلبه الخوف والكرب من اقترابه كذلك لدفن موتي المدينة .

وعندما أقترب الشاب أكثر من فتاته، أخد يصرخ بصوت غير مسموع.نعم، نعم، نحن على قيد الحياة.هأنا أراكِ من جديد، وها هي يدي تلمس يداكِ في نعومة ورفق، وعيناي تحتضن عيناكِ في أمن وسلام.بذلت ما في وسعى كي نلتقي من جديد، وها نحن نلتقي على هذه البقعة من الأرض.

واصل حامل البنفسج رحلته.فهي رحلة صالحه لفرد واحد من البداية، وترك الشاب والفتاة يستكملان رحلتهما، رحلة البحث عن الحب في قلوبهم من جديد.

وفي الطريق، لمعت في ذهن حامل الزهور فكرة. وهى أن يطلب من هذين الغريبين المساعدة!.

فبالمشاركة تصبح المهمة أسهل، وتُنجَز في وقت أقصر.

وبالفعل وفّق الثلاث في حمل جميع موتي المدينة وتم دفنهم في سلام.وبيد المساعدة قدّم حامل الزهور، زهره من بين أزهار البنفسج إلي الشاب كي يُهديها إلي حبيبته.

وذهب الشاب والفتاة مستكملين رحلتهما، إلى أرض جديدة، ووطن جديد غير محتل.

أما حامل الزهور!، فإن يومه الثانِي هنا، إنه ينتظر، بوسعه أن يوقف الزمن، لكنه أبي أن يفعل، جعل كل شيء يسير كما مُقدرله، ولمشيئة القدر كلمتها الأخيرة.

- تحدث إلى نفسه -

هذا هو مكانها الأخير، لابد من أنها سوف تأتي هنا في أي وقت.ليس عليّ سوى الانتظار، انتظارها، انتظار رحيقها كي يملأ المكان.

حينها، تذكرت قول جدى، - علي المرء الانتظار، انتظار رحيق الأمل -

وها أنا قابع هنا في هذا المكان، وينتظر معي الثلج طيف حبيبتي الفاتنة. وبعد ساعات من الانتظار، شع بصيص من الأمل.

إنها هنا، نعم، هي هنا في مكانٍ ما قريب منى.أشم رائحة عطرها، أشعر بأنفاسها، أرى نور قلبها، أسمع صوت خطواتها الرقيقة تأتي إليّ من أول الطريق.وحينها فقط،

- مالت السماء إلي - وبعثت بقلبي الفرح -

جاءت حبيبتي إليّ تحمل كوب من الشاي الدافئ، بمذاق فمها الجميل.وأرادت أن نتقاسم الكوب معًا، مثلما أرادت دائمًا أن نتقاسم الحياة.

- فكان كوب واحد فقط يكفي لكلينا -

كوب واحد لشخصين، كي تشعر أجسادنا بالدفئ، ويستوطن الحب قلوبنا من جديد ومن بعد طول انتظار.

أزهار البنفسج

حلّ فصل الشتاء ولن يعود الخريف، سوف اراها مرة ثانيه..

الشارع مظلم، إلا من أعمده بعيده، يأتى نورها زاحف إليّ في بطءٍ شديد.يتساقط مطر خفيف يُداعب وجهي الأسمر ذو السنوات الكثيرة والتجاعيد الدقيقة.أصبح الجو في المكان باردًا.صرفت نظرى عن الأرض، وتأملت السماء المرصعة بالنجوم.فأنا أحلم منذ زمن بعيد بحياة خالية من البشر، لا يملأها سوى عشقنا.

أُحدّث نفسي في اللحظات الأخيرة من الليل، أنني سألتقى بها بعد قليل!.

أعرف السعادة والأمل فقط عندما يأتى الشتاء ونقترب من لقائنا السنوي، ذلك الذي خدعني منذ شبابي.

طُفتُ بكل الأرجاء لزيارة الأماكن الرائعة التي شهدت حبنا ولقائنا مع كل عهد جديد لسقوط الأمطار.

تمهلت قليلًا، وبحركات بطيئة غير مُرتبه، وقفت أمام محل لبيع فساتين الزفاف. تذكرت ساعة ما قلنا -الشتاء القادم سوف يزدهر ويتلألأ بزفافنا-..

نظرت إلي أسفل وفكرت: ماذا يحدث لي كلما أقترب الموعد المرجو؟!، لماذا أنا بالذات من بين كل العاشقين؟!.

صعدتُ بنظري مرة أخرى إلي فستان أبيض ينشر نوره علي المارة، يتراقص مُحدثًا نغم موسيقي كلاسيكى، تعزف السماء معه لحنًا، استكمالا لمعزوفته.

-وتذكرت-..

إنها جميلة، رقيقة، تأخذنى من عالمي الصاخب، لتُدخلني عالمها الطفولي الهادي، تملئني بأنقى وأجمل المشاعر والأحاسيس.

تتكلم ببساطة كطفل صغير لم يتعلم سوى الكلمات الرقيقة الحانية، تنظر إليّ برفق كأم تنظر لأول مرة إلي طفلها.إذا ابتسمت، تشرق الشمس وتطل علينا من عينيها، وإذا خجلت، احمر وجهها كوردة بيضاء احتضنها غصن أزهار التوليب

obeikandl.com

الحمراء، وضمها إليه في رفق وحنان.
ظلت عيناي معلقتان بالفستان الأبيض طوال الوقت.
وظللت واقفا شريد الفكر هكذا حتى الساعات الأولي من الصباح. ارتجف جسمي فجأه حينما جاء صوت من خلفي، "يا فتاح يا عليم يا رزاق يا كريم"..
نظرت سريعًا إلى الجهة المقابلة لي، أُتابع بنظري ويدى المرتعشة مصدر ذلك الصوت الذي اقتحمني مرة واحدة وشتت تفكيرى.
كان ولدا نحيلا، هزيلا، في العشرينات من عمره، يرتدي جلبابا أزرقا به خطوط بيضاء بالطول والعرض، وفوق رأسه طاقية زرقاء بها نفس الخطوط التي علي الجلباب.كان ثوبه نظيفا ، وشكله وسيم، ليصارع بذلك علامات الفقر التي غطت وجهه وجسده الهزيل.فأراد أن يُخفي نحافته وفقره، وراء ابتسامته الجميلة، التي تنشر نور الصباح علي وجهه البسيط، ويتخللها اشعة الشمس الذهبية مُحدثة تناغم موسيقي مع ابتسامة أسنانه ناصعة البياض، وجلباب أزرق نظيف، قد تخدعك نظافته ويُهيأ إليك بأنه باهظ الثمن.-هكذا هم الفقراء، أو بعضهم-..يُفضلون عزة النفس والكرامة عن كافة أشكال نعيم الحياة.
أين ذهب ذلك الذي أخرجني من أحلامى الجميلة؟!.
أجاء فقط ليصدمنى بالواقع والحقيقة ثم يختفى؟!.
ظننت أنه طيف، فتركت مكاني أمام محل الفساتين، كي أعبر الطريق وأذهب من حيث أتيت.
فلا أمل في لقائها اليوم أيضًا..
ومرة واحدة، انتبهت لليد التي أتت بسرعه لا أعرف من أين، وشدتنى بقوه من قميصي الوردي، وسحبتنى فجأة من وسط الطريق، لأجد نفسي واقع علي الأرض، ووجه شاب جميل ينظر إليّ في دهشه ويقول: "الحمد لله يا أستاذ ربنا ستر، جت سليمة، بس إنت إيه اللي خلاك سرحان اوى كده يا بشمهندس، دا الراجل عمّال يصرخ ويشاورلك تعدي، وصوت عربيته خرم ودنى".
اتجهت برأسي لذلك الذي يتكلم، أُتابع حديثه دون أن أنطق بكلمة واحدة، وعندما انتهى من كلامه ذهب لمكانه على الجانب الآخر من الطريق.
لا أعرف ماذا جرى لي، ولكن لم يكن لدى هذا اليوم اية رغبه في الموت!.
كيف؟!، وربما نلتقي ذات يوم!.
ظلت رأسي مرفوعة باتجاه الشاب..
أتمنى أن أذهب نحوه وأتحدث إليه، أشعر أنني أنتمى إليه.لكن!، لن يصدق هو

ما أرغب في قوله.

لقد كانت حولي في كل مكان!، لهذا كان من الصعب عليّ أن أستوعب رحيلها.لم يتبقى لي سوى بعض من الذكريات.

قمت من مكاني على الأرض، ووقفت برهة، أتأمل ذلك الشاب، وتلك الحادثة!. أكان هذا موعد لقائنا؟!.نعم، فقد حدثتني أمس في المساء بهذا المكان الهادى، وهذه الساعة المبكرة من الصباح.لكنها لم تقل لي وقتذاك بأن هذه السيارة السوداء الصغيرة، هي من ستقلني إليها، لكنّ هذا الشاب النحيل أحال بيني وبين قدرنا باللقاء. اتجهت بأصابعي إلى الأرض، وانحنيت إلى الأمام، فتركت يدي تُعيد ما تلف من باقة أزهار البنفسج التي رتبتها مساء أمس من أجل لقائنا.

كانت أزهار البنفسج كعيون طفل صغير تفتحت من أجل رؤية ابتسامة من حوله. لكنها أصبحت الآن بعد تلك الحادثة، كعيون ميت خرجت لتوها من القبر، لتطل على العالم كنظرة أخيرة لها، فقد أرادت كذلك أن تودع الشمس.

- كان هذا ما أكده ذلك النادل - عندما استدعاه القاضي.

وأضاف، أنه رأي كل ذلك في الحلم، فكانت ليله مظلمه، وكان الخوف يتملّكه من أن عربه سوداء صغيرة كادت أن تسحقه وهى قادمة بالصدفة.

وعند استيقاظه، كان مبتلًا من عرق الخوف، الذي عاشه في الحلم.

- سأله القاضى- في دهشه!

كان أنت الذي كادت تسحقه العربة أم الشخص حامل أزهار البنفسج؟!.

- رد الشاب قائلا -

كنت أنا في الحلم..وكان هو في الحقيقة!.

تعجب القاضى من رده، ولكنه أحس بصدق الشاب.فقال بصوت جاد: لا بأس.

أراد ذلك الشاب أن يُبرهن على ما رآه صباح اليوم.

ينبغي علي أحدهم تصديقه، هناك جريمة. رجل في الخمسين من عمرة أراد الانتحار. لقد رآه ثلاث مرات على ثلاث سنوات مع بداية كل شتاء.لكنه ولأول مرة ذهب ليخبر القاضي بما يحدث، كي ينقذ روح من الهلاك.

عادت الأجواء إلي ما كانت عليه.فالشارع مزدحم بالمارة في مثل تلك الساعات من الظهيرة، والمحلات تملئها النساء، جميع النساء، من مختلف الأعمار، كل يبحث له عن ثوب أبيض مميز لليلة الزفاف.

obeikandi.com

ليس بالشارع سوى تلك القهوة القديمة. كراسي وتربيزات من الأرابيسك، وفي آخر القهوة طاولة صغيرة باللون البنفسج،

تتراقص فوقها فازه بيضاء، تتمايل على جوانبها أزهار البنفسج. من مختلف أركان القهوة، يأتى صوت أم كلثوم. ليُحدث انسجام بين المستمعين والمكان. وها هي تغنى الآن..

- أمل حياتي - يا حب غالي ما ينتهيش..يا أحلي غنوه - سمعها قلبي ولا تتنسيش.. خد عمري كله - بس النهارده خليني اعيش..

ليذهب النادل بقلبه وفكره وإحساسه مع تلك الكلمات الرقيقة، فتأخذه معها لعالم آخر.فلا ينتبه لصوت الزبائن طالبين الشاي بلبن والقهوة والينسون. وفي المساء..تأمل الشاب غرفته الصغيرة.سرير قديم، لن يصمد كثيرًا، فربما ينهار غدًا أو بعد غد.

دولاب بنى، ذو درفه واحده، ومرآه مكسورة من المنتصف، كأنها صدمت كوب أزاز لتوها، يُخيل إليك عندما تنظر إليها، بأنك شخص آخر، غير الذي أنت عليه. ويتوسط الغرفة الصغيرة، سجاده زرقاء، خشنة، ترجع إلي زمن بعيد.نُقِشَ عليها أزهار باللون البنفسج، لتحتضن كل زهره منها أختها في شكل مبدع، يوحى بالأمل والبهجة.

بدأت أتحدث مع نفسي.

لقد كان عندى!، هذه الليلة كان عندى!، لم يتحدث ولم ينفعل، ومع ذلك تحدثت إليه، نعم.. سمعت صوتي أتحدث إليه، ولكن دون جواب منه. لكني رأيته، رأيته بعينى!. إذا هو حقيقه، وليس بحلم أو خيال كما يعتقد الآخرون. ولكن!، لقد صدقني القاضي.

- فهناك مَن يُصدق الفقراء ويثق بهم -

لم أذق طعم النوم طوال الليل، بل هبطت إلي الشارع حاملا البالطو وجلست هناك على حَجر. كان الظلام والمطر الخفيف ولسعة البرد يغطون أرجاء المدينة ليلا. انتظرت هناك لساعات طويله، لا أعرف عددها!. غير أني شعرت وكأنها العمر كله.

- هكذا هو إذا شعور الانتظار!

obeikandl.com

فهرس

الأعباء المقدسة..ص٣
الساكن في الأعالي ص٥
تدوينة..ص٧
تطور..ص٩
سوبرمان ص11
أحببتك ولكن! ص17
جدي حبيبي..ص١٩
رحلة البحث عن الحب ص٢٠
عندما تُحلّق الأجنحة المكسورة..ص٢٢
عندما ينتظر القدر لقائنا..ص٢٤
رحلة صالحة لفرد واحد فقط ص٢٥
إلى اللقاء..ص٢٦
مشيئة القدر ص٢٧
صرخة من جهنم..ص٢٨
صدفة..ص٣٠
فيروز ص31
الرئيس الإرهابي قاتل الأطفال ص٤٢
تجربتى مع المراقبة..ص٤٤
الرب..ص٤٦
كوب واحد لشخصين..ص٥٠
أزهار البنفسج..ص٥٢

obeikandl.com

obeikandl.com